الآيات الإلهية
في الأقوال المسيحية

تأليف

عبد المسيح الفلوري

١٩٦٩

34598

معهد البحوث الدينية
ساحة المتحف الوطني - هاتف: ٢٨٢٣١٧
بناية منصور سلامة - بيروت - لبنان

تَعَالَوْا إليَّ يَا جَمِيعَ ٱلْمُتْعَبِينَ وَٱلْمُثْقَلِينَ
وَأَنَا أُرِيحُكُمْ

إِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ
وَتَعَلَّمُوا مِنِّي فَتَجِدُوا رَاحَةً لِأَنْفُسِكُمْ

كل من يسمع كلامي ويعمل به يشبه رجلًا حكيماً بنى بيته على الصخر فنزل المطر وجرت الانهار وهبت الرياح واندفعت على ذلك البيت فلم يسقط لان اساسه كان على الصخر وكل من يسمع كلامي ولا يعمل به يشبه رجلًا جاهلًا بنى بيته على الرمل فنزل المطر وجرت الانهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط وكان سقوطه عظيماً

الى من نذهب؟ ان كلام الحياة الابدية هو عندك

إِنَّ ٱلْرَبَّ إِلَهَنَا رَبٌّ وَاحِدٌ . فَأَحْبِبِ ٱلرَبَّ إِلَهَكَ
بِكُلِّ قَلْبِكَ وَكُلِّ نَفْسِكَ وَكُلِّ قُدْرَتِكَ *
وَلْتَكُنْ هذهِ ٱلْكَلِمَاتُ فِي قَلْبِكَ وَكَلِّمْ
بِهَا إِذَا جَلَسْتَ فِي بَيْتِكَ وَإِذَا
مَشَيْتَ فِي ٱلطَرِيقِ وَإِذَا
نِمْتَ وَإِذَا قُمْتَ

DEUT. VI.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أَقوال المسيح عيسى ابن مريم وجيه في الدنيا والآخرة الذي جاء بالحكمة والانجيل ليبيّن بعض الذي يختلفون فيه * جُعل آيةً للناس ورحمةً مباركاً اينما كان * كلمة الله القاها الى مريم امه الصديقة التي لم يمسّها بشَر فلاجله اصطفاها الله وطهرها واصطفاها على نسآء العالمين * أعيذت بالله وذريتها من الشيطان الرجيم

اما بعـد فإني جمعت في هذا التصنيف اهم اقوال السيد المسيح مفسرًا إياها تفسيرًا وجيزًا لفائـدة الجمهور * وصيةً اوصى بها تلاميذه وكلّ من طلب الحق والهدى * أحكاماً جعلها نورًا ساطعاً لحسن سلوكنا في ظلمات الدنيا بعد ما اتخذها

منهاجاً لنفسه وتصرف بمقتضاها من أولها الى آخرها * شريعة ربانية فيها خلاصة واجباتنا نحو الله خالقنا جل شأنه ان نفرغ جهدنا في طلب معرفته ومحبته وطاعته التامة * ثم رسم واجباتنا نحو امثالنا من البشر وهي أن نحب غيرنا من صميم القلب بدون تقصير حباً له تعالى ومنها ايضاً معرفة ما يجب علينا من قهر الاهواء الرديئة والشهوات القبيحة حتى نستاهل الرجاء بالسعادة الابدية الموعود بها من اجتنب الشر وعمل الخير ذلك قول الحق ضُرب به مثلًا وجعل الله في قلوب الذين اتبعوه رأفةً ورحمةً * ومما لا يخفى ان العالمُ استفاق عند اعلان تلك الاقوال الالهية بعد ما كان قد غاص في بحر الاضاليل والاكاذيب فانتعش بحياة جديدة عجيبة نرى ملامحها ومحاسنها في الحضارة المسيحية وبه صار قلب الانسان بعد ما كان اشد من الحجارة قسوةً يتفجّر منه عيون وأنهار غزيرة وهي اعمالُ العبادة الخالصة لله وضياء طهارة الحياة باطناً وخارجاً وعجائبُ الاحسان الى الناس والمعروف مما ظهر في سيرة الذين تلقوا اقوال المسيح بمزيد القبول واقتدوا بها ولا يُرى في غيرهم

فاجتنِ ايها القارئ اللبيب هذه الازهار اللطيفة واتخذ منها سَكَرًا ورزقاً حسناً فتنجو من عمى القلب وتجد وراءه مسرة كاملة عجيبة

الباب الاول

في ان الدنيا كلا شيء وان الموت عاقبة الامور

قال سيدنا عيسى المسيح له المجد

Mt XVI مَاذَا يَنْفَعُ ٱلإِنْسَانَ لَوْ رَبِحَ ٱلْعَالَمَ كُلَّهُ وَخَسِرَ نَفْسَهُ (اي هلك في النار الجهنّمية بعد هذه الحياة) أَمْ مَاذَا يُعْطِي ٱلإِنْسَانُ فِدَاءً عَنْ نَفْسِهِ *

اشار المسيح عليه افضل السلام الى ضلال من طلب هذه الدنيا بالحرص حتى غفَل عن الحياة الدائمة وعن حقيقة الحساب والعقاب فالحرص على خيرات الدنيا يصُدُّه عن الحق والطهارة والعبادة . فقال سيدنا عيسى ماذا ينفعه لو ربح العالم كله اي ادرك جميع الكنوز التي في الارض وحصل على اعظم قوة وسعادة كما وقع في السالف لبعض الملوك والامراء المشهورين فإنّهم قد فتحوا مدناً واقطارًا وجالوا بالمسكونة ظافرين بجميع اعدائهم ثم ماتوا ودفنوا وتلاشى مجدهم وزال ذكر اعمالهم العظيمة وماذا افادهم هذا كله ان كانوا قد افرطوا في واجبات دين الله والطاعة له سبحانه حتى استحقوا العذاب والعقاب على معصياتهم . ام ماذا يُعطون فِداء وخلاصاً عن تلك العقوبة ان

خرجوا من هذه الحياة مجردين من الخير والحسنات ممتلئين من الشر والسيئات ؟ وماذا سوف يحدث لنا بعد هذه الحياة يوم الجواب للحاكم العليم إن كنا حارصين على اباطيل الدنيا كالاموال والفخر والشهوات من دون الله

***

L XII رَجُلٌ غَنِيٌّ أَغَلَّتْ لَهُ أَرْضُهُ كَثِيرًا فَفَكَّرَ فِي نَفْسِهِ قَائِلًا مَاذَا أَصْنَعُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَخْزُنُ فِيهِ غِلَالِي (اي غلتي) ثُمَّ قَالَ أَصْنَعُ هَذَا أَهْدِمُ أَهْرَائِي (اي اهدم المخازن الضيقة التي لا تسع تلك الغلة الكثيرة) وَأَبْنِي أَكْبَرَ مِنْهَا وَأَخْزُنُ هُنَاكَ جَمِيعَ أَرْزَاقِي وَخَيْرَاتِي وَأَقُولُ لِنَفْسِي يَا نَفْسِي إِنَّ لَكِ خَيْرَاتٍ كَثِيرَةً مَوْضُوعَةً لِسِنِينَ كَثِيرَةٍ فَاسْتَرِيحِي وَكُلِي وَاشْرَبِي وَتَنَعَّمِي * فَقَالَ لَهُ اللهُ يَا جَاهِلُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ تُطْلَبُ نَفْسُكَ مِنْكَ فَهَذَا الَّذِي أَعْدَدْتَهُ لِمَنْ يَكُونُ فَهَكَذَا مَنْ يَدَّخِرُ لِنَفْسِهِ (أي يجمع الاموال ويكثرها راجياً أن تنفعه في دنياه) وَهُوَ غَيْرُ غَنِيٍّ بِمَا لِلّهِ اي بالاعمال الصالحة والحسنات لان

غيرها لا يحسب عند الله بشيء * ان من اراد اموال الدنيا وطلبها لا يحصل عليها الا بعد تعب ومشقة وربما بطريق الظلم وإضرار غيره فيدخرها لنفسه كأنه بقي له حياة مديدة ثم تُطلب نفسه اي يموت قبل ان يتمتع بها فيذهب تعبه باطلًا * وفي هذا المثال ماذا كان ينبغي ان يصنع هذا الرجل الغني بما رزقه الله من الخيرات ؟ ألم يكن له جديرًا ان لا يتعلق بها كأن فيها السعادة وأن يُحسن بها الى المساكين في سبيل الله ؟ أما الغنى عند الله هو الفضيلة والتقى والمخافة

***

Mt VI وقال ايضاً أَلَيْسَتِ النَّفْسُ أَفْضَلَ مِنَ الطَّعَامِ

فإن كانت النفس افضل ألا يجب على الانسان الاهتمام بما للنفس اكثر من اهتمامه بما للجسد ؟ وهذا أمر ينطق به العقل السليم حيث انه لا يخفى ان الجسد شيء حيواني قابل للتلف والموت . اما الروح فشيء روحاني غير قابل للموت . فما اجهل الانسان اذ تراه يستفرغ مجهوده على الدوام في طلب الاكل واللباس والمال يُصلح به جسده ولا يَبذل ساعة من الزمان في تلاوة الكتب الدينية او الصلاة او التأمل في ما يصلح نفسه وضميره وهذا يا للاسف جهل عمومي يشمل اغلب الناس فارسل نظرك الى المجامع واصغ بسمعك الى ما يتحدث به غيرك في الاسواق والازقة والمجالس العمومية أليس غايةُ تأملهم وبحثهم

وجدالهم الربح دنيوي بدون نظر الى ما هو فوق ذلك * فتأمل ايها العاقل وارفع فكرك عن الدنيا الى الخيرات الابدية فتفلح

الباب الثاني

ملكوت السموات

Mt VI أُطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ ٱللهِ (اي اجعلوا الله ملكاً في قلوبكم بحسن الطاعة له سبحانه) وَبِرَّهُ (والبر ما حسن عند الله من الاعمال الصالحة) وَهٰذَا كُلُّهُ (اي خيرات الدنيا التي يجب على الانسان نيلها) يُزَادُ لَكُمْ (اي يُعطى لكم من فضل الله واحسانه لانه ابوكم) اما ملكوت السموات فهو الحياة الدائمة بعد هذه الحياة الفانية فأراد المسيح ان نطلب ملكوت الله ونقصده بغاية جهدنا حيث هو غاية المقصود ننال به جميع الخيرات والسعادة التامة ونستوجب بخسرانه العذاب الدائم في جهنم ويُعنى به ايضاً كما قيل اعلاه مُلك الله في قلب الانسان الطائع مثل مُلك مَلك على رعيته الخاضعة له فقال انه جدير بالانسان ان يهتم بهذا اولاً باكبر غرض واعظم جهد لئلا يقضي ايامه باطلاً ساعياً لطلب امر

فانٍ وقال ان هذا كله يزاد له مجاناً واحساناً وجوداً من عناية الله الكريم الى خلقه وهذا ليس بمعنى ان الله يرزق عباده بدون أن يهتموا بأمورهم بل انه تعالى لا يغفل عمّا يحتاج اليه الذي جعل اولَ مقصودهِ الخدمةَ لله والطاعة له

* * *

Mt VI إِكْنِزُوا (اي اجمعوا) لَكُمْ كُنُوزًا فِي ٱلسَّمَاءِ حَيْثُ لَا يُفْسِدُهُ سُوسٌ وَلَا آكِلَةٌ وَلَا يَنقُبُ ٱلسَّارِقُونَ وَلَا يَسْرِقُونَ * فالكنز ما عزّ بين الناس وما كثر من الخير النفيس وكنوز الارض الذهب والفضة والحجر واللباس الفاخر ثم العواطف القلبية والمحبة وغير ذلك اما كنوز السماء ما عزّ عند الله وحسن عنده وهي الاعمال الصالحة والمعروف والطاعة والاحسان الى القريب والصفح عن الذنب والطهارة والتقوى فقال المسيح ان تلك الكنوز السماوية لا تَفسُد ولا تُوكل ولا تُسرق بل تبقى سالمة لفاعلها الى الابد بلا حرمان او ضياع بخلاف كنوز الارض التي يخاف صاحبها من سارق ومن سوس او آكل ومن فساد وإتلاف فان كانت كنوز هذه الدنيا تُطلب بجهد عظيم مع قلتها وفسادها كيف لا يَطلُب العاقل كنوز السماء التي لا تفنى بل تجلب له خيرات دائمة

* * *

Mt XIII يُشبِهُ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَوَاتِ (اي من طلب ملكوت السموات) رَجُلًا تَاجِرًا يَطْلُبُ لَآلِيَ (الدر) حَسَنَةً فَوَجَدَ لُؤْلُؤَةً كَثِيرَةَ ٱلثَّمَنِ فَمَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَالَهُ وَٱشْتَرَاهَا ✲ شبّه سيدُنا عيسى الفوز بالجنة وسعادتها باحسن اللآلي وانفس الحجار الثمينة وجعل خيرات هذا العالم احقر منها ثمناً وهذا حق عند الاعتبار فان كان الحال هكذا وجب على الانسان ان يقوم بخلاص نفسه ونجاتها من الهلاك ولو كان امرًا صعباً فيبيع اعني يترك جميع ما كان لهُ سبباً في الثقل والابطاء في طريقهِ

* * *

Mt XIII يُشبِهُ مَلَكُوتُ ٱلسَّمَوَاتِ (اي السعادة في الجنة) كَنْزًا مُخْفًى فِي حَقْلٍ (حرثٍ) وَجَدَهُ رَجُلٌ فَخَبَأَهُ وَمِنْ فَرَحِهِ بِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ وَٱشْتَرَى ذَلِكَ ٱلحَقْلَ ✲ شبّه السيدُ المسيح ملكوتَ السماوات اي المكافأة في الآخرة بكنز لاجل عظمته وثمنه وقدره لدى

الانسان الذي خُلق لهُ وهو كنز خفيٌّ لانهُ ليس ظاهرًا لعين الجسد الحيواني ولا يُدركه الا من اعتبر في حقيقة قدره فلو وجد إنسان كنزًا او معدِناً في بقعة وعلم قدره ومنفعته فرح ان يُمكن له اكتسابه فيمضي الى منزله واملاكه فيبيع كل ما بين يديه ليشتري تلك الارض ولا يَعدّ خسران ماله بشيء عند امتلاك ذلك الكنز العظيم فبناءً على هذا المثل وعظنا المسيح ان لا نعلق قلوبنا بهموم الدنيا تعلّقاً عظيماً بل انِ نتركها ونطلقها لنشتري بها الحياة الاخرى بفعل الخير الموعود لفاعله المكافأة في الجنة

* * *

L XIV إِنَّ رَجُلًا صَنَعَ عَشَآءً عَظِيماً وَدَعَا كَثِيرِينَ فَأَرْسَلَ عَبْدَهُ فِي سَاعَةِ الْعَشَآءِ يَقُولُ لِلْمَدْعُوِّينَ هَلُمُّوا فَإِنَّ كُلَّ شَيْءٍ قَدْ أُعِدَّ فَطَفِقُوا كُلُّهُمْ وَاحِدٌ فَوَاحِدٌ يَعْتَذِرُونَ فَقَالَ لَهُ ٱلْأَوَّلُ قَدِ ٱشْتَرَيْتُ حَقْلًا (اي ارضاً) وَلَا بُدَّ لِي أَنْ أَخْرُجَ وَأَنْظُرَهُ فَأَسْأَلُكَ أَنْ تَعْذِرَنِي وَقَالَ ٱلْآخَرُ قَدِ ٱشْتَرَيْتُ خَمْسَةَ فَدَادِينِ بَقَرٍ (اي ازواج) وَأَنَا مَاضٍ لِأُجَرِّبَهَا فَأَسْأَلُكَ أَنْ تَعْذِرَنِي

وَقَالَ ٱلْآخَرُ قَدْ تَزَوَّجْتُ ٱمْرَأَةً فَلَا أَسْتَطِيعُ أَنْ أَجِيءَ فَغَضِبَ رَبُّ ٱلْبَيْتِ * والحق لرب البيت أن يغضب على هؤلاء المدعوّين الذين رفضوا دعوته الجميلة وفضلوا تنعّمهم الخصوصيّ على احتفال عشائه العظيم إلا أنه أحياناً يجوز التعذر بين الناس * أما في شأن الدعوة الالهية فلا يجوز التعذّر عن العشاء العظيم الذي أشار اليه سيدنا عيسى المسيح اي عن سعادة الفردوس فإن الله تعالى باحسانه الى الخلق تنازل الى ان يدعو كل عبد الى الفوز بالحياة الدائمة في جنات عدن حيث يجد عشاءً عظيماً اي سعادة تامة وافية دائمة فيعتذر الانسان من التقدم اليها اي من فعل الخير ومن العبادة بهموم الدنيا واحوال ذاته كما اعتذر المدعوّون واحد فواحد بعلل مختلفة فصار الانسان الجاهل يرتد عن الخيرات الحقيقية فيستحق غضب المولى العظيم بعذاب اليم

الباب الثالث

الحساب والعقاب

Mt XXV وقال المسيح عن يوم الدين والحساب العام مَتَى جَاءَ ٱلْمَلِكُ (اي الله سبحانه) فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ

مَلَائِكَتِهِ مَعَهُ حِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى عَرْشِ مَجْدِهِ (اي يظهر في مجده مثل الملك على عرشه) وَتُجْمَعُ لَدَيْهِ كُلُّ ٱلْأُمَمِ (اي جميع الاجناس والقبائل) فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ ٱلرَّاعِي ٱلْخِرَافَ مِنَ ٱلْجِدَاءِ وَيُقِيمُ ٱلْخِرَافَ (اي الصالحين) عَنْ يَمِينِهِ وَٱلْجِدَاءَ (اي الاعصياء) عَنْ يَسَارِهِ (واليمنى معناها السعادة أما اليسرى فمعناها الهلاك) ثُمَّ يَقُولُ ٱلْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِينَ رِثُوا (اي تملكوا) ٱلْمُلْكَ ٱلْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ إِنْشَاءِ ٱلْعَالَمِ . ثُمَّ يَقُولُ أَيْضاً لِلَّذِينَ عَنْ يَسَارِهِ اذْهَبُوا عَنِّي يَا مَلَاعِينُ إِلَى ٱلنَّارِ ٱلْأَبَدِيَّةِ (جهنم) ٱلْمُعَدَّةِ لِإِبْلِيسَ وَمَلَائِكَتِهِ فَيَذْهَبُ هَؤُلَاءِ إِلَى ٱلْعَذَابِ ٱلْأَبَدِيِّ (الدائم) وَٱلصِّدِّيقُونَ إِلَى ٱلْحَيَاةِ ٱلْأَبَدِيَّةِ *

يعلّمنا المسيح بهذا الكلام الصريح ان بعد الموت نُعطى حياة اخرى وأن الانسان يُسأل ويُحاسب على اعماله ليس كالحيوانات الغير الناطقة التي تموت ولا تحيا بعد موتها ولا تُسأل اذ انها غير عاقلة وغير مكلّفة، اما الانسان الذي خوّله الله ميزان العقل وصوت

الضمير ليميز بين الخير والشر وهو مخيّر في الفعل فعليه ان يأتي جواباً عمّا فعله . اما الدينونة فاول الامر تقع بين النفس وخالقها حالاً بعد الموت لتنال الجزاء الموعود وتقع ثانية في انتهاء الدهر يوم القيامة والحشر . فيجمع الملك القهار عباده بسلطة وقوة، ولا مناص لاحد الى الفرار او الاختفاء فقد زال حينئذٍ وقت الصبر والانتظار وقت التوبة والاستغفار فلا يحتاج الحاكم الى الاقرار ولا يقبل شفاعة او اعتذار. اما حظ الطائعين فالبركة والرضوان في الحياة الابدية ونصيب العاصين فاللعنة والخزية في النار المؤبدة

فيا لها من حكومة عادلة ويا اه من عقاب رهيب ويا لها من شقاوة لا تدرك !

* * *

Mr IX فَإِنْ شَكَّكَتْكَ (صارت لك سبباً للذنوب) يَدُكَ فَٱقْطَعْهَا فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ ٱلْحَيَاةَ وَأَنْتَ أَقْطَعُ (اي مقطوع اليد) مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ يَدَانِ وَتَذْهَبَ إِلَى جَهَنَّمَ إِلَى نَارٍ لَا تُطْفَأُ حَيْثُ لَا يَمُوتُ دُودُهُمْ وَلَا تُطْفَأُ ٱلنَّارُ . وَإِنْ شَكَّكَتْكَ رِجْلُكَ فَٱقْطَعْهَا فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ ٱلْحَيَاةَ وَأَنْتَ أَعْرَجُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ

رِجْلَانِ وَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ فِي نَارٍ لَا تُطْفَأُ حَيْثُ لَا يَمُوتُ دُودُهُمْ وَلَا تُطْفَأُ ٱلنَّارُ . وَإِنْ شَكَّكَتْكَ عَيْنُكَ فَٱقْلَعْهَا فَخَيْرٌ لَكَ أَنْ تَدْخُلَ مَلَكُوتَ ٱللهِ (الجنة) وَأَنْتَ أَعْوَرُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ عَيْنَانِ وَتُلْقَى فِي جَهَنَّمِ ٱلنَّارِ حَيْثُ لَا يَمُوتُ دُودُهُمْ وَلَا تُطْفَأُ ٱلنَّارُ * فبقوله له المجد اقطعها واقلعها لم يرد قطع العضو ولا قلعه بالسيف حقاً لانه منهى من الله سبحانه لكنه عليه السلام اعلن انه يجب علينا الهرب والفرار مما كان لنا سبباً للذنوب والمعاصي وان صعب الحال او عسر علينا الفراق. واعلمنا ان ترك اشياء الدنيا مع الرجاء بالفوز بالحياة الدائمة خير لنا وافضل من كسبها مع خوف الهلاك في نار جهنم وانذرنا ايضاً بخلود العقاب والعذاب في النار اذ كرّر ان هنالك دوداً يأكل الضمير ولا يموت وناراً تأكل الاجساد ولا تطفأ

* * *

L XVI فقال كَانَ رَجُلٌ غَنِيٌّ يَلْبَسُ ٱلْأُرْجُوَانَ (ثوب احمر) وَٱلْبَزَّ (ثياب من الكتان الثمين) وَيَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ تَنَعُّماً فَاخِراً . وَكَانَ مِسْكِينٌ ٱسْمُهُ لَعَازَرُ

مَطْرُوحاً عِنْدَ بابِهِ مُصاباً بِٱلْقُرُوحِ (الاجراح) وَكانَ
يَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ ٱلْفُتاتِ (البقيات) ٱلَّذِي يَسْقُطُ
مِنْ مائِدَةِ ٱلْغَنِيِّ (من شدة احتياجه) وَلَمْ يُعْطِهِ أَحدٌ
وَكانَتِ ٱلْكِلابُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ قُرُوحَهُ . ثُمَّ ماتَ
ٱلْمِسْكِينُ فَنَقَلَتْهُ (نقلت نفسه) ٱلْمَلائِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرٰهِيمَ
(اي مع ابرهيم وجميع السعداء) وَماتَ ٱلْغَنِيُّ أَيْضاً فَدُفِنَ
فِي جَهَنَّمَ (اي طُرحت روحه في جهنم) فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ
وَهُوَ فِي ٱلْعَذابِ فَرَأَى إِبْرٰهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلَعازَرَ
(المسكين) فِي حِضْنِهِ فَنادَى قائِلاً يا أَبَتِ إِبْرٰهِيمُ
ٱرْحَمْنِي وَأَرْسِلْ لَعازَرَ لِيَغْمِسَ فِي ٱلْماءِ طَرَفَ إِصْبَعِهِ
وَيُبَرِّدَ لِسانِي لِأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هٰذا ٱللَّهِيبِ . فَقالَ
إِبْرٰهِيمُ تَذَكَّرْ يا ٱبْنِي أَنَّكَ نِلْتَ خَيْراتِكَ فِي حَياتِكَ
وَلَعازَرُ كَذٰلِكَ بَلاياهُ وَٱلْآنَ فَهُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ
تَتَعَذَّبُ . وَمَعَ هٰذا كُلِّهِ فَبَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ (خندق
غميق) عَظِيمَةٌ حَتَّى إِنَّ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَجْتازُوا

مِنْ هُنا إِلَيْكُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ . فَقالَ أَسْأَلُكَ
أَنْ تُرْسِلَهُ إِلَى بَيْتِ أَبِي فَإِنَّ لِي خَمْسَةَ إِخْوَةٍ حَتَّى
يَشْهَدَ لَهُمْ لِكَيْ لا يَأْتُوا هُمْ أَيْضاً إِلَى مَوْضِعِ
ٱلْعَذابِ هٰذا . فَقالَ له إِبْرٰهِيمُ إِنَّ عِنْدَهُمْ مُوسَى
وَٱلْأَنْبِياءَ (اي الشريعة) فَلْيَسْمَعُوا مِنْهُمْ . قالَ بَلْ إِذا
مضى إِلَيْهِمْ واحِدٌ مِنَ ٱلْأَمْواتِ يَتُوبُونَ . فَقالَ لَهُ
إِنْ لَمْ يَسْمَعُوا مِنْ مُوسَى وَٱلْأَنْبِياءِ فَإِنَّهُمْ وَلا إِنْ
قامَ واحِدٌ مِنَ ٱلْأَمْواتِ يُصَدِّقُونَهُ

الباب الرابع

الحرز والحذر

فَٱسْهَرُوا إِذَنْ لِأَنَّكُمْ لا تَعْلَمُونَ فِي Mt XIV
أَيَّةِ ساعَةٍ يَأْتِي ٱلرَّبُّ (للحساب عند الموت) وَٱعْلَمُوا
هٰذا أَنَّهُ لَوْ عَلِمَ رَبُّ ٱلْبَيْتِ فِي أَيَّةِ ساعَةٍ يَأْتِي

السَّارِقُ لَسَهِرَ وَلَمْ يَدَعْ بَيْتَهُ يُنقَبُ فَلِذَلِكَ كُونُوا
أَنْتُمْ مُسْتَعِدِّينَ * وعظنا المسيح ان نكون مستعدين للحضور
بين يدي الله عند الموت، وقد ألجأنا للاستعداد جهلُنا الساعة وخوفُنا الانقباض على الغفلة فالواجب على كل انسان ان يخاف الله ويعبده ليلًا ونهارًا ليس لاجل الحساب والموت فقط بل لكون الله تعالى كاملًا في الخير ومحسنًا اليه غاية الاحسان يحق له ان يكرمه تعالى ويحبه في كل حين . واما الموت باب يفتح الى حياة جديدة سعيدة او شقية فالويل لمن وُجد في ذلك الحين مجردًا من الحسنات معرضًا للعذاب الدائم . فقد انذرنا سيدنا عيسى بالحذر من الغفلة والاهمال وامرنا بالسهر استعدادًا للموت الآتي كالسارق الذي لا يخبر بقدومه . فنقوم ساهرين كما يقوم رب البيت لئلا ينقب بيته

* * *

Mr XIII إِحْذَرُوا وَاسْهَرُوا وَصَلُّوا (طالبين العون الالهي) لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَكُونُ الزَّمَانُ (الذي يأتي فيه موتكم) فَذَلِكَ مِثْلُ رَجُلٍ سَافَرَ وَتَرَكَ بَيْتَهُ وَصَرَّفَ عَبِيدَهُ كُلَّ وَاحِدٍ فِي عَمَلِهِ وَأَوْصَى الْبَوَّابَ بِالسَّهَرِ . فَاسْهَرُوا إِذَنْ لِأَنَّكُمْ لَا تَعْلَمُونَ مَتَى يَأْتِي

رَبُّ الْبَيْتِ (وهو الله) أَفِي الْمَسَاءِ أَمْ فِي نِصْفِ اللَّيْلِ أَمْ عِنْدَ صِيَاحِ الدِّيكِ أَمْ فِي الصَّبَاحِ لِئَلَّا يَأْتِيَ بَغْتَةً (على غفلة) فَيَجِدَكُمْ نِيَاماً . وَمَا أَقُولُهُ لَكُمْ أَقُولُهُ لِلْجَمِيعِ أَنِ اسْهَرُوا * من المحقق اننا جاهلون ساعة قدوم الموت والحساب فكثير من الناس الذين يؤخرون التوبة والندامة واصلاح سيرتهم الغير الحميدة الى المستقبل زاعمين انهم لا يزالون في اول العمر او شبابه او شدته وانه بقي لهم من الزمان فرصة طويلة او انهم متى اتاهم الكبر وخبر الموت اصلحوا عملهم الا ان هذا غرور من الشيطان الغرّار اذ اننا لا نعرف هل نموت في هذا الحين ام في زمان بعيد وايضًا لان من أخر التوبة صعب له الرجوع الى الخير لاستمساكه بالعوائد الفاسدة القديمة التي تملكه

* * *

L XXI صَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي التَّجْرِبَةِ * والتجربة هي الامتحان والاختبار يأتينا ساعةً من قبل الله وساعة من عمل الشيطان فيصير الانسان بين اثنين يُميلانه الى احدى الجهتين . جهة الخير او جهة الشر . والعقل ونور الله في ضميره ينذرانه بما هو الاحسن فاذا تبع المرء ميله المنحرف ورضي بوسواس الشيطان واشبع شهواته الحيوانية فقد ارتكب اثمًا واصبح

مسئولاً . واما النجاة من التجربة والظفر بها فبالحذر والصبر والقناعة ومخالفة النفس . وذلـك أمر عسير فلذلك قال سيدنا عيسى عليه السلام انه لا يمكننا هـذا الظفر الا بعون الهي خصوصي لا ينكره سبحانه لمن طلبه منـه بالصلاة الحارة والتضرعات الكثيرة فصلوا لئـلا تدخلوا في التجربـة فتغلبوا فيها اذا دخلتموها . والتجربة كل يوم وكل ساعـة ولنا التأمل

الباب الخامس

مخافة الله والحب له

Mt X لَا تَخَافُوا مِمَّنْ يَقْتُلُ الجَسَدَ وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْتُلَ النَّفْسَ (وهم الاعداء في هذه الدنيا) بَلْ خَافُوا مِمَّنْ يَقْدِرُ أَنْ يُهْلِكَ النَّفْسَ والجَسَدَ فِي جَهَنَّمَ * قد سبق ذكره في باب جهنم اما في هذا الباب فيبين المسيح كم يجب علينا ان نخاف الله سبحانه الملك القوي العظيم الذي لـه ان يقتل الجسد والنفس اي يعذّبهما معاً في نار جهنم الى الابد

***

Mt XXII فَدَنَا رَجُلٌ (من بني اسرائيل) وَسَأَلَهُ (سأل سيدنا عيسى عليه السلام) أَيَّةُ الوَصَايَا هِيَ أَوَّلُ الكُلِّ فَأَجَابَهُ يَسُوعُ أَنْ أَوَّلَ الوَصَايَا كُلِّهَا إِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ إِنَّ الرَّبَّ إِلَهَنَا ربٌّ وَاحِدٌ فَأَحْبِبِ الرَّبَّ إِلَهَكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَكُلِّ نَفْسِكَ وَكُلِّ ذِهْنِكَ وَكُلِّ قُدْرَتِكَ هَذِهِ هِيَ الوَصِيَّةُ الأُولَى *

لا يخفاك ايها القارئ ان الوصايا العشر التي اتت عـلى يد سيدنا موسى عليه السلام والاحكام التي فُرضت عـلى بني اسرائيل في التوراة وغيرها من الكتب المنزلة كثيرة العـدد مختلفة الوجوه فلكل عبد في كل زمان ومكان فرائض عديدة من العـدل في الناس والاحسان والمعروف اليهم وصدق القول وغـير ذلك الا ان اول الامر واعظم الوصايا والاحكام هي محبة الخالق ابينا المحسن الينا الى الغاية لا يغني عنها العلم ولا المحبة الانسانية ولا الصدقة بالمال كله كما قال بولس احـد الحواريين : لو كنت أنطق بألسنة النـاس والملائكة ولم تكن فيَّ المحبة فانما انا نحاس يطنّ . ولو كانت لي النبوة و كنت أعلم جميع الاسرار والعلم كله ولو كان لي الايمان كله حتى

أنقل الجبال ولم تكن فيَّ المحبة فلست بشيء · ولو بذلت جميع اموالي لاطعام المساكين واسلمت جسدي لاحرق ولم تكن فيَّ المحبة فلا انتفع شيئاً (I Cor XIII)

فإذن لا تتكل ايها المحب على احسانك الى الناس وسيرتك الحميدة لديهم كانك صالح وطاهر ومرضٍ عند الله إن لم تجعل اولاً محبة صادقة خالصة حقيقية في قلبك الى ذلك الرب المحبوب فوق كل شيء·

***

Mt XXIII إِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَوَاتِ *

ما في الاسماء ألذّ من اسم الاب الذي اخرجنا الى الوجود واحاطنا من اول ايامنا بأعزّ الاعتناء والاحتفاظ · ليس في العالم محبة اعظم من محبة الولد للوالدين فهل يجوز أن يُنسب هذا الاسم اللطيف لله سبحانه الذي انشأنا في العالم بحركة مشيئته اذ كان يمكنه ان لا يخرجنا من العدم الى الحياة ثم حفظنا ورزقنا بخيرات الجسد والروح جوداً منه واحساناً وهو مستغنٍ عنا كل استغناء ولا يزال ينظر الينا بعين الرحمة والحنانة فيصبر عند عصياننا وعدم طاعتنا له ويغفر ذنوبنا ويقبل اعمالنا الصالحة ويرضى بها حتى انه تعالى اوجب على نفسه المكافاة عنها في الاخرى فوعدنا بها · فان كان الحال كذلك أفلا يجب علينا محبة بنوية تفوق ما يجب علينا من مخافته

***

Mt VI فَصَلُّوا هٰكَذَا أَبَانَا ٱلَّذِي فِي السَّمَوَاتِ الخ *

هذه صلاةٌ علمها اياها السيد المسيح وهي افضل الصلوات عند المسيحيين ياتي تفسيرها فيما بعد · وانما يلاحظ فتحها الذي فيها يدعو الله سبحانه وتعالى باسم اب الخلق ولا باسم سيدٍ ولا ملك اذ انه تعالى وان كان حقاً سيداً وملكاً يستوجب بالاحرى اسم الاب العزيز الكريم

***

Mt VI لَا تَهْتَمُّوا (اي لا تكونوا شديدي الحرص ولا تقلقوا) قَائِلِينَ مَاذَا نَأْكُلُ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ إِنَّ أَبَاكُمُ ٱلسَّمَاوِيَّ (وهو الله) يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هٰذَا كُلِّهِ *

Mt VI (وايضاً) أُنْظُرُوا إِلَى طُيُورِ ٱلسَّمَاءِ فَإِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَخْزُنُ فِي ٱلْأَهْرَاءِ (الهري مخزن كبير يجمع فيه القمح ونحوه) وَأَبُوكُمُ ٱلسَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا · أَفَلَسْتُمْ أَنْتُمْ أَفْضَلَ مِنْهَا *

Mt VI (وايضاً) إِعْتَبِرُوا (انظروا) زَنَابِقَ (الزنبقة نبات له زهر جميل طيب الرائحة) اَلْحَقْلِ (الارض الطيبة يُزرع فيها) كَيْفَ تَنْمُو (تزيد). إِنَّهَا لَا تَتْعَبُ وَلَا تَغْزِلُ (لنسج لباسها الفاخر) وَأَنَا أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ سُلَيْمَانَ (ابن داود عليهما السلام) فِي كُلِّ مَجْدِهِ لَمْ يَلْبَسْ كَوَاحِدَةٍ مِنْهَا. فَإِذَا كَانَ عُشْبُ ٱلْحَقْلِ ٱلَّذِي يُوجَدُ ٱلْيَوْمَ وَفِي غَدٍ يُطْرَحُ فِي ٱلتَّنُّورِ (الموقد يلقى فيه العشب اليابس) يُلْبِسُهُ ٱللهُ هٰكَذَا أَفَلَا يُلْبِسُكُمْ بِٱلْأَحْرَى أَنْتُمْ يَا قَلِيلِي ٱلْإِيمَان *

Mt VI (وايضاً) أَلَيْسَ عُصْفُورَانِ (والعصفور اسم يطلق على ما دون الحمام من الطير) يُبَاعَانِ بِفَلْسٍ (نقد نحاسي قيمته رخيصة) وَمَعَ ذٰلِكَ فَوَاحِدٌ مِنْهُمَا لَا يَسْقُطُ عَلَى ٱلْأَرْضِ بِدُونِ أَبِيكُمْ (الله) وَأَنْتُمْ فَإِنَّ شَعْرَ رُؤُوسِكُمْ جَمِيعَهُ مُحْصًى فَلَا تَخَافُوا فَإِنَّكُمْ أَفْضَلُ

مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ * ليس حكمة هذا الكلام ان القوت مزمع ان يحضر الى الانسان بدون تعب او مشقة منه كما ظنّ بعضهم الذين من فرط كسلهم واتكالهم الباطل على الله كادوا ان لا يسعوا الى طلب الضروريات زاعمين ان الرزق مقسوم من الازل ولا ينفع فيه الجد ولا الجهد فيقضون ايامهم في الاهمال والعجز. واذا سقطوا في الاحتياج والعوز اشتكوا القضاء والقدر وعدم لطف الله اليهم، والحق خلاف ذلك اذ ان البركة في الحركة والنجاح في العمل مع الاتكال على الله وخير الامور اوسطه وهو ما بين الطرفين اي بين القلق الشديد والتهاون المفرط. اما السيد المسيح له المجد فحذّرنا بتلك الامثال اللطيفة من القلق وكثرة الاهتمام باحتياجاتنا الدنيوية لانه يوجد مَن يعتني بنا: الخالق الذي لا يهمل خلقه وهو أبٌ لنا عالمٌ بجميع ما نحتاج اليه من الاكل والشرب واللباس فيعتني بنا هو الذي يقوم بمعاش طيور السماء الكبار منها والصغار وبفاخر لباس الازهار التي لا قيمة لها اذ انها مجردة من العقل وبدون رجاء بعد فنائها، فقال وحقّ كلامه: كيف لا يعتني الله بكم وانتم افضل منها بكثير فلا تخافوا ولا تقلقوا بل أرجوه تعالى وأمّلوا منه كل خير

* * *

L XI كُلُّ مَنْ يَسْأَلُ يُعْطَى وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ

وَمَنْ يَقْرَعُ (يدق الباب) يُفْتَحُ لَهُ . وَمَنْ مِنْكُمْ يَسْأَلُهُ إِبْنُهُ خُبْزًا فَيُعْطِيهِ حَجَرًا أَوْ سَمَكَةً فَيُعْطِيهِ حَيَّةً بَدَلَ ٱلسَّمَكَةِ أَوْ إِذَا سَأَلَ بَيْضَةً يُعْطِيهِ عَقْرَباً . فَإِذَا كُنْتُمْ أَنْتُمُ ٱلْأَشْرَارَ تَعْرِفُونَ أَنْ تَمْنَحُوا (تعطوا) ٱلْعَطَايَا ٱلصَّالِحَةَ لِأَبْنَائِكُمْ فَكَمْ بِٱلْحَرِيِّ (بالانسب والاجدر) أَبُوكُمْ مِنَ ٱلسَّمَاءِ يَمْنَحُ ٱلصَّالِحَ لِمَنْ يَسْأَلُهُ *

فقد قايس السيد المسيح بين محبة الناس لابنائهم وجود الله سبحانه الذي هو بحر الصلاح بدون حدّ وانتهاء . فان كان الانسان مع ضعفه صالحاً كريماً مع غيره كم بالاجدر يكون ابونا الذي في السموات رحيماً . فلهذا وعظنا بالثقة والاتكال عليه فوعدنا اننا نقبل منه ان سألناه ونجد ان طلبنا منه وانه يفتح لنا باب رحمته ان دقّيناه (طرقناه)

* * *

Mt V قَدْ سَمِعْتُمْ (يا بني اسرائيل) أَنَّهُ قِيلَ لِلْأَوَّلِينَ (في شريعة سيدنا موسى) لَا تَحْنَثْ بَلْ أَوْفِ ٱلرَّبَّ بِأَقْسَامِكَ (اي اذا حلفت ونذرت اي اوجبت على نفسك

ما ليس بواجب تبرّعاً من عبادة او صدقة وغير ذلك) أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ لَا تَحْلِفُوا ٱلْبَتَّةَ (اي لا تحلفوا اصلاً مطلقاً) لَا بِٱلسَّمَاءِ وَلَا بِٱلْأَرْضِ وَلَا بِرَأْسِكُمْ وَلَكِنْ لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ نَعَمْ نَعَمْ وَلَا لَا وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ ٱلشِّرِّيرِ (والشرير هو الشيطان) * هكذا منعنا عن القسم والحلف إجلالاً لاسم الله العزيز وخوفاً من القسم الباطل والحلف الكاذب وعلمنا لطف الكلام وصدق القول في كل حين الى ان نستغني عن القسم ونكتفي بالاثبات والانكار ولو كان حديث الناس نعم نعم ولا لا لملك الامان والهناء بينهم خلافاً لما تراه غالباً حيث ان حديث الغالب لا يخلو من الخشانة والكذب والشك وكثرة الاقسام الباطلة

الباب السادس

الايمان والعمل

Mt VI لَيْسَ كُلُّ مَنْ يَقُولُ يَا رَبُّ يَا رَبُّ يَدْخُلُ

مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ (الجنة) **لَكِنَّ ٱلَّذِي يَعْمَلُ إِرَادَةَ الآبِ ٱلَّذِي فِي السَّمَوَاتِ يَدْخُلُ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ** *

فمن الناس من يظـل في تكرار الصلاة ومواصلة التسبيحات والامداح والطلبات مفتخراً وقانعاً بها كأنه اكمل الشريعة كلها واحكامها وكأنه استوجب بذلك غاية الحسنات والسعادة في الحياة الدائمة . فربما يتكبر عن المؤمنين محتقراً اياهم اذ لم يواصلوا معه تلك العبادات الكثيرة مقتنعين بحفظ الفرائض . ولكن كثرة صلواته بغير عمل صالح لا تفيده بشيء عند الله اذ وعد السعادة للطايعين العاملين

وفي عدم منفعة الايمان بلا عمل قال يعقوب احد الحواريين في رسالة له (Jac. II) : ما المنفعة يا اخوتي اذ قال احد ان له ايماناً ولا اعمالَ له . ألعل الايمان يستطيع ان يخلّصه ؟ ان كان اخٌ او اخت عريانين وليس لهم قوت يومهما فقال لهما احدكم اذهبا بسلام واستدفئا واشبعا ولم تعطوهما ما هو من حاجـة الجسد فما المنفعة ؟ كذلك الايمان ان كان بغير اعمال فهو ميت في ذاته . انت تؤمن ان الله واحد . حسن والشياطين ايضاً يؤمنون ويرتعدون ... فانه كما ان الجسد بغير الروح ميت كذلك الايمان بغير الاعمال ميت

***

L XI **وَفِيمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ رَفَعَتِ إِمْرَأَةٌ مِنَ ٱلْجَمْعِ صَوْتَهَا وَقَالَتْ لَهُ طُوبَى** (اي السعد) **لِلْبَطْنِ ٱلَّذِي حَمَلَكَ وَلِلثَّدْيَيْنِ ٱللَّذَيْنِ رَضِعْتَهُمَا فَقَالَ بَلْ طُوبَى لِمَنْ يَسْمَعُ كَلِمَةَ ٱللهِ وَيَحْفَظُهَا** * كانت تلك المرأة ممـن تبع السيد المسيح في مدينة القدس وغيرها حيث كان يكرز ويبشر القوم بالكلام اللطيف العجيب الـذي يفوق حكمة حكمائهم واحبارهم وياتي بالمعجزات الكبيرة كإحياء الموتى وشفاء المرضى من كل بأس حتى انذهلوا من تعليمه ومن فعله وصاروا يشكرونه ويحمدونـه فخرجت امرأة وباحت بما في صدرها فقالت السعد لك ايها المعلم، السعد لمن تشرف بالقرب منك ومن انتسب اليك . واولهم امك التي حملتك وارضعتك . فاجاب المسيح ولم ينكر ذلك الشرف الحقيقي بل فضل عليه من كان يسمع كلامه ويحفظه ولو لم يكن من اقربائه وانسابه فاظهر ان الشرف عنـد الله ليس في الاجداد ولا في الاولاد ولكن في عمل الخير والطاعة له

***

Mt XXI **إِنْسَانٌ كَانَ لَهُ أُبْنَانِ فَدَنَا إِلَى ٱلْأَوَّلِ وَقَالَ يَا بُنَيَّ اُذْهَبِ ٱلْيَوْمَ وَٱعْمَلْ فِي كَرْمِي فَأَجَابَ**

لَا أُرِيدُ وَلٰكِنَّهُ أَخِيرًا نَدِمَ وَذَهَبَ . وَدَنَا إِلَى ٱلْآخَرِ وَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ فَأَجَابَ قَائِلًا أَذْهَبُ يَا سَيِّدِي وَلَمْ يَذْهَبْ . فَمَنْ مِنْهُمَا فَعَلَ إِرَادَةَ ٱلْأَبِ . فَقَالُوا لَهُ ٱلْأَوَّلُ . فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ ٱلْعَشَّارِينَ (وهم عند بني اسرائيل خدام الدولة الرومانية الجاهلة) وَٱلزُّنَاةَ (الفاسقون والفاسقات) يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ ٱللهِ (الجنة) * هذا المثل لمن يعلم ولم يعمل فلا تفيده كثرة الصلاة والعبادات الصادرة من سطح لسانه ان كان غافلًا عن العمل . وقال المسيح ان كثيرين من المذنبين والعاصين يسبقونهم الى السعادة اذا تابوا عن سيرتهم الرديئة ولا يستكبرون في اظهار الصالحات رياء للناس

* * *

L VIII فقال بمثل : خَرَجَ ٱلزَّارِعُ لِيَزْرَعَ زَرْعَهُ وَفِيمَا هُوَ يَزْرَعُ سَقَطَ ٱلْبَعْضُ عَلَى ٱلطَّرِيقِ فَوُطِئَ وَأَكَلَتْهُ طُيُورُ ٱلسَّمَاءِ . وَٱلْبَعْضُ سَقَطَ عَلَى ٱلصَّخْرِ فَلَمَّا نَبَتَ يَبِسَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ رُطُوبَةٌ . وَبَعْضٌ سَقَطَ بَيْنَ

ٱلشَّوْكِ فَنَبَتَ ٱلشَّوْكُ مَعَهُ فَخَنَقَهُ . وَبَعْضٌ سَقَطَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلصَّالِحَةِ فَلَمَّا نَبَتَ أَثْمَرَ مِئَةَ ضِعْفٍ (مثله في العدد) فَسَأَلَهُ تَلَامِيذُهُ مَا مَعْنَى هٰذَا ٱلْمَثَلِ . فَقَالَ : ٱلزَّرْعُ هُوَ كَلِمَةُ ٱللهِ . وَٱلَّذِينَ عَلَى ٱلطَّرِيقِ هُمُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ثُمَّ يَأْتِي إِبْلِيسُ وَيَذْهَبُ بِٱلْكَلِمَةِ مِنْ قُلُوبِهِمْ لِئَلَّا يُؤْمِنُوا فَيَخْلُصُوا . وَٱلَّذِينَ عَلَى ٱلصَّخْرِ هُمُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ٱلْكَلِمَةَ وَيَقْبَلُونَهَا بِفَرَحٍ وَلٰكِنْ لَيْسَ لَهُمْ أَصْلٌ وَإِنَّمَا يُؤْمِنُونَ إِلَى حِينٍ وَفِي وَقْتِ ٱلتَّجْرِبَةِ يَرْتَدُّونَ . وَٱلَّذِي سَقَطَ فِي ٱلشَّوْكِ هُمُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ثُمَّ يَذْهَبُونَ فَيَخْتَنِقُونَ بِٱلْهُمُومِ وَٱلْغِنَى وَمَلَذَّاتِ ٱلْحَيَاةِ فَلَا يَأْتُونَ بِثَمَرٍ . وَأَمَّا ٱلَّذِي سَقَطَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْجَيِّدَةِ فَهُمُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ ٱلْكَلِمَةَ فَيَحْفَظُونَهَا فِي قَلْبٍ جَيِّدٍ وَصَالِحٍ وَيُثْمِرُونَ بِٱلصَّبْرِ * ومعناه ظاهر لا يحتاج الى تفسير فتأمل

الباب السابع

النية والرياء

Mt VI سِرَاجُ (مصباح في معنى الضوء) ٱلْجَسَدِ ٱلْعَيْنُ فَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ بَسِيطَةً (نيرة نقية) فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ نَيِّرًا. وَإِنْ كَانَتْ عَيْنُكَ شِرِّيرَةً (فاسدة مظلمة) فَجَسَدُكَ كُلُّهُ يَكُونُ مُظْلِماً * النية سراج الفعل فان كانت نيتك نقية فعملك كله يكون نيرًا وان كانت نيتك شريرة فعملك كله يكون شريرًا . إن الله ينظر الى القلوب ويميز حركات النيات ولا تغره الظواهر والاشكال كما تغر الانسان الذي لا يدرك ما في الضمير من المقاصد . فاذًا يصير عملك سوءًا عند الله إن كانت نيتك شريرة . ولو حمدك الناس عليه وصار مرضياً لديه تعالى ان كانت نيتك صالحة ولو ذمك عليه الناس

***

Mt VI إِحْتَرِزُوا أَلَّا تَصْنَعُوا بِرَّكُمْ (العمل الصالح) قُدَّامَ ٱلنَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ وَإِلَّا فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ

عِنْدَ أَبِيكُمُ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ *

لم يمنعنا المسيح من فعل البرّ اي الخير قدام الناس لانه قال ايضاً : Mt V فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ قُدَّامَ ٱلنَّاسِ لِيَرَوْا أَعْمَالَكُمُ ٱلصَّالِحَةَ وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَاوَاتِ *

وانما منعنا من فعل الخير ان كان مجرَّد قصدنا كسب الشكر من غيرنا . بل أمرنا بفعله لينظرنا ابونا السماوي واذا كان فعلنا الجميل رياء للناس فلا اجر لنا عند الله

***

Mr XII وجلس يسوع أمام الخزانة (التي في صدر الجامع الكبير في مدينة القدس) ونظر كيف يلقي الجمع نحاساً في الخزانة فألقى كثير من الاغنياء شيئاً كثيرًا وجاءت ارملة (امرأة مات زوجها) فقيرة والقت فلسين (قطعتين من نحاس قيمتها رخيصة) فدعا يسوع تلاميذه وقال لهم : ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هٰذِهِ ٱلْأَرْمَلَةَ ٱلْفَقِيرَةَ قَدْ أَلْقَتْ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ ٱلَّذِينَ أَلْقَوْا فِي ٱلْخِزَانَةِ لِأَنَّ ٱلْجَمِيعَ أَلْقَوْا مِمَّا فَضَلَ عِنْدَهُمْ وَأَمَّا هٰذِهِ فَمِنْ عَوَزِهَا (الحاجة والضيق) أَلْقَتْ كُلَّ مَا لَهَا *

* * *

Mt VI فَإِذَا صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلَا تَهْتِفْ (لا تصيح لا
تعيط) قُدَّامَكَ كَمَا يَفْعَلُ ٱلْمُرَاءُونَ (الذين يعملون الخير
رياء للناس) لِكَيْ يُمَجِّدَهُمُ ٱلنَّاسُ. أَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ
إِنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا أَجْرَهُمْ. أَمَّا أَنْتَ فَإِذَا صَنَعْتَ صَدَقَةً
فَلَا تَعْلَمْ شِمَالُكَ مَا تَصْنَعُ يَمِينُكَ (اي لا تفتخر بها ولو
في نفسك) لِتَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي خِفْيَةٍ وَأَبُوكَ ٱلَّذِي
يَرَى فِي ٱلْخُفْيَةِ هُوَ يُجَازِيكَ. وَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَكُونُوا
كَٱلْمُرَائِينَ فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ ٱلْقِيَامَ فِي ٱلْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا
ٱلشَّوَارِعِ (الشارع اي الطريق) يُصَلُّونَ لِيَظْهَرُوا لِلنَّاسِ.
أَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا أَجْرَهُمْ. أَمَّا أَنْتَ
فَإِذَا صَلَّيْتَ فَٱدْخُلْ مُخْدَعَكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَصَلِّ إِلَى
أَبِيكَ فِي ٱلْخُفْيَةِ وَأَبُوكَ ٱلَّذِي يَرَى فِي ٱلْخُفْيَةِ
هُوَ يُجَازِيكَ *

وَإِذَا صُمْتُمْ فَلَا تَكُونُوا مُعَبِّسِينَ كَٱلْمُرَائِينَ فَإِنَّهُمْ
يُنَكِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِيَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. أَلْحَقَّ
أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا أَجْرَهُمْ. أَمَّا أَنْتَ فَإِذَا
صُمْتَ فَٱدْهَنْ رَأْسَكَ وَٱغْسِلْ وَجْهَكَ لِئَلَّا تَظْهَرَ لِلنَّاسِ
صَائِماً بَلْ لِأَبِيكَ ٱلَّذِي فِي ٱلْخُفْيَةِ وَأَبُوكَ ٱلَّذِي فِي
ٱلْخُفْيَةِ هُوَ يُجَازِيكَ *

* * *

Mr VII لَا شَيْءَ مِمَّا هُوَ خَارِجٌ مِنْ ٱلْإِنْسَانِ
(كالمأكولات) إِذَا دَخَلَهُ يُمْكِنُ أَنْ يُنَجِّسَهُ (اي ينجس
روحه) بَلْ مَا يَخْرُجُ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ (اي اعماله)
هُوَ ٱلَّذِي يُنَجِّسُ ٱلْإِنْسَانَ * وتفسيره في قوله اذ قال.
إِنَّ كُلَّ مَا هُوَ خَارِجٌ إِذَا دَخَلَ ٱلْإِنْسَانَ لَا يَدْخُلُ
فِي قَلْبِهِ بَلْ جَوْفِهِ وَأَمَّا ٱلَّذِي يَخْرُجُ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ
هُوَ ٱلَّذِي يُنَجِّسُ ٱلْإِنْسَانَ لِأَنَّهُ مِنْ دَاخِلِ قُلُوبِ

ٱلنَّاسِ تَنْبَعِثُ ٱلْأَفْكَارُ ٱلرَّدِيئَةُ ٱلزِّنَى ٱلْفُجُورُ ٱلْقَتْلُ
ٱلسَّرِقَةُ ٱلْحِرْصُ ٱلْخُبْثُ ٱلْغِشُّ ٱلْعَهَارَةُ (الفسق)
ٱلْعَيْنُ ٱلشِّرِّيرَةُ (الحسد) ٱلتَّجْدِيفُ (التكلم على الله
بالكفر والاهانة) ٱلْكِبْرِيَاءُ ٱلْجَهْلُ جَمِيعُ هٰذِهِ ٱلشُّرُورِ
تَنْبَعِثُ مِنَ ٱلدَّاخِلِ فَتُنَجِّسُ ٱلْإِنْسَانَ * اي ان الله
سبحانه ينظر الى داخل القلوب والنيات ولا يبالي بما ياكله
الانسان او يلبسه خلافاً لما زعم كثيرون الذين اعتنوا غاية
الاعتناء في الامتناع من اكل ذات لحم او شرب ذات شراب
ولا يحذرون مما هو احق اعتباراً من ذالك

* * *

Mt XXIII أَلْوَيْلُ لَكُمْ (حلول الشر) أَيُّهَا ٱلْمُرَاؤُونَ
(هم المنافقون ذوو الوجهين الذين يظهرون الخير وهم في
الباطن فاعلو الاثم) فَإِنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ (تعطون العشر من)
ٱلنَّعْنَعَ وَٱلشِّبْثَ (شجر صغير يدبغ بورقه) وَٱلْكَمُّونَ
(نبات رخص معروف) وَتَتْرُكُونَ أَثْقَلَ مَا فِي ٱلنَّامُوسِ
(الشريعة) وَهُوَ ٱلْعَدْلُ وَٱلرَّحْمَةُ وَٱلْإِيمَانُ أَيُّهَا ٱلْقَادَةُ

ٱلْعُمْيَانُ ٱلَّذِينَ يُصَفُّونَ مِنَ ٱلْبَعُوضَةِ (حيوان صغير
معروف) وَيَبْلَعُونَ ٱلْجَمَلَ أَلْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلَّذِينَ يُنَقُّونَ
خَارِجَ ٱلْكَأْسِ وَدَاخِلُهُمْ مَمْلُوءٌ خَطْفاً وَدَعَارَةً (اي
تطهرون اعضاء جسدكم والقلب مملوء فساداً) أَيُّهَا ٱلْأَعْمَى
نَقِّ أَوَّلاً دَاخِلَ ٱلْكَأْسِ حَتَّى يَتَطَهَّرَ خَارِجُهَا *
وايضاً أَلْوَيْلُ لَكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرَاؤُونَ فَإِنَّكُمْ تُشْبِهُونَ
ٱلْقُبُورَ ٱلْمُجَصَّصَةَ (المبيضة) ٱلَّتِي تُرَى لِلنَّاسِ مِنْ
خَارِجِهَا حَسَنَةً وَهِيَ مِنْ دَاخِلِهَا مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ
وَكُلَّ نَجَاسَةٍ * هكذا علمنا سيدنا عيسى ان الله تعالى
يزن ما في باطن القلب ولا ما بظاهر الابدان وأن الطهارة كلها
باطنة وانه تعالى لا يرضى بالوضوء والغسل واظهار الصالح ان
لم يكن الداخل مستقيماً

* * *

L XIV إِذَا صَنَعْتَ غَدَاءً أَوْ عَشَاءً فَلَا تَدْعُ (اليها)
أَحِبَّاءَكَ وَلَا إِخْوَانَكَ وَلَا ٱلْجِيرَانَ ٱلْأَغْنِيَاءَ لِئَلَّا يَدْعُوكَ

أيضاً فيكون لك منهم المكافأة ولكن إذا صنعت لهم مأدبة (طعام يصنع لدعوة او عرس) فادع المساكين والجدع (الذي قطع عضو له) والعرج (المصاب في رجليه) والعميان فتكون مباركاً إذ ليس لهم ما يكافئونك به فتكون مكافأتك في قيامة الصديقين (في اليوم الاخر يوم القيامة والحساب)

***

J VIII جلس يوماً يسوع يعلم الناس وقدّم الكتبة (ارباب العلم والكتاب) والفريسيون (فرق من الاحبار) الى يسوع امرأة اخذت في زنى واقاموها في الوسط وقالوا يا معلم ان هذه المرأة قد أُخذت في الزنى وقد اوصى موسى في الناموس (الشريعة) ان تُرجم مثل هذه فماذا تقول انت وانما قالوا هذا تجريباً له ليجدوا ما يشكونه به (فان قال ارجموها ذمّوا قساوة قلبه وان قال اطلقوها قالوا انه يحل شريعة موسى) أمّا يسوع فأكبّ (أمال الى الارض رأسه) يخطّ باصبعه على الارض ولما استمرّوا يسألونه انتصب وقال لهم: من كان منكم بلا خطيئة فليبدأ ويرمها بحجر * ثم أكبّ ايضاً يخط

على الارض (وربما كان يعد ذنوبهم وخطايا كل منهم). اما اولئك فلما سمعوا طفقوا يخرجون واحداً فواحداً وكان الشيوخ اول الخارجين وبقي يسوع وحده والمرأة قائمة في الوسط فانتصب يسوع وقال لها: يا امرأة أين الذين يشكونك أما حكم عليك أحد قالت لا يا رب فقال يسوع. ولا أنا أحكم عليك إذهبي ولا تعودي تخطئين

الباب الثامن

الصلاة

L XXII صلّوا لئلا تدخلوا في التجربة * كما سبق تفسيره في باب الحذر والسهر اما الصلاة عند المسيح يطلق على الدعاء القلبي والاستعانة بالله لا على قراءة كتاب ولا قراءة شفهية او حركة جسدية مثل الركوع والسجود. فالاستعانة واجبة في كل حين لمن شعر بضعفه وعلم بميله المنحرف الى الخطيئة فقال صلّوا لئلا تدخلوا في التجربة اي لئلا تأتيكم تجربة الشيطان الذي ينصب مكايده للانسان ليغرّه ويعثره في سبيل الخير فصارت الصلاة تمنعنا ان ندخل التجربة اي نعثر

ونضع ارجلنا فيها كما يضع العصفور رجله في الفخ
وكرر السيد المسيح هذا الوعظ مرات عديدة بقوله :

Mr XIII إِسْهَرُوا وَصَلُّوا

* * *

Mt VI وَأَنْتُمْ فَصَلُّوا هٰكَذَا أَبَانَا ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمٰوَاتِ
لِيَتَقَدَّسِ ٱسْمُكَ لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ
كَمَا فِي ٱلسَّمَاءِ كَذٰلِكَ عَلَى ٱلْأَرْضِ أَعْطِنَا ٱلْيَوْمَ
خُبْزَنَا كَفَاةَ يَوْمِنَا وَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ لِمَنْ
أَسَاءَ إِلَيْنَا وَلَا تُدْخِلْنَا فِي ٱلتَّجْرِبَةِ لٰكِنْ نَجِّنَا مِنَ
ٱلشِّرِّيرِ

تفسيره أَبَانَا * (اسم الحنانة واللطافة والثقة والاتكال على الله سبحانه اب المصلي واب الجميع)

ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمٰوَاتِ * (ان الله في كل مكان ولا تسعه الارض ولا السماء الا ان السماء اي الجنة مكان السعداء والصالحين حيث يجدونه تعالى بعد هذه الحياة فصارت السماء مقصودنا وغايتنا القصوى ومدينة البقاء اذ ليس لنا ثبات في هذه الدار)

لِيَتَقَدَّسِ ٱسْمُكَ * (ليتعزّز اسمك) اسم الله جلالته والتقدس اكرام هذه الجلالة فبهذه الكلمة نطلب منه تعالى ان يمنح الناس معرفة جلالته واكرامها التام

لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ * أي ليجي ليكن والملكوت سبق تفسيره اعلاه وهو الحكم الالهي فالملكوت ان يُقبل ملك الله من الجميع كما يقبل الملك في ملكه ويخضع له

لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ * المشيئة هي الارادة . واما الارادة الالهية فهي على وجهين : المطلقة التي تجري في الخلائق الغير العاقلة كالشمس والكواكب والبحر والرياح والموت والحياة فكل ذلك انما ينجز ما رسمه الله عليه على قوانين ثابتة وسنن لا تتغير وهكذا تتم فيه مشيئة الله . والارادة الغير المطلقة وهي علم واذن مع الامر بالخير والنهي عن المنكر فهذه ارادة الله في عالم القلوب متعلقة بارادة الانسان الذي جعله في حكمته حرًا ومخيرًا على الخير والشر . فمن الناس من يخضع لامره تعالى ومنهم من لا يبالي الى النهي فيعصى خالقه والمطلوب ان يطيع الجميع لامر الله وتتم فيهم مشيئته تعالى

كَمَا فِي ٱلسَّمَاءِ كَذٰلِكَ عَلَى ٱلْأَرْضِ * الملائكة هم الذين يسلكون بحسب مشيئة الله بالتمام وبالحرص فغاية صلاتنا ان تماثل الناس الملائكة في خضوعهم لله

أَعْطِنَا ٱلْيَوْمَ خُبْزَنَا كَفَاءَةَ يَوْمِنَا * بالخبز يُفهم القوت وكل ما نحتاج اليه لان كل رزق من الله تعالى وكفاءة يومنا ما يكفينا يومنا الحاضر لئلا يكن همنا في المستقبل زائداً

وَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا * طلبُ الغفران الذي به نرجع الى رضوانه تعالى

كَمَا نَحْنُ نَغْفِرُ لِمَنْ أَسَاءَ إِلَيْنَا * وهذا شرط للحصول على غفران ذنوبنا ان نغفر نحن ايضاً لمن اساء الينا اي ظلمنا او عمل معنا سوءًا

وَلَا تُدْخِلْنَا فِي ٱلتَّجْرِبَةِ * التجربة هي خوف الهلاك ومكيدة الشيطان بالمعصية فالمطلوب ان يحرسنا ويسترنا بقدرته على ذلك الشر العظيم

لٰكِنْ نَجِّنَا مِنَ ٱلشِّرِّيرِ * والشرير هو فاعل الشر وأشرّ الفاعلين إبليس الذي لا يطلب الا هلاكنا وخسراننا الابدي

* * *

Mt VI إِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تُكْثِرُوا ٱلْكَلَامَ مِثْلَ ٱلْوَثَنِيِّينَ (الجهلاء عباد الاصنام) فَإِنَّهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ بِكَثْرَةِ ٱلْكَلَامِ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فَلَا تَتَشَبَّهُوا بِهِمْ لِأَنَّ أَبَاكُمْ (الله سبحانه)

عَالِمٌ بِمَا تَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُوهُ * انه من الواجب على الخليقة الضعيفة الحقيرة ان تتوجه الى خالقها الغني القدير لتطلب منه ما تحتاج اليه فلذلك وعظنا مراراً السيد المسيح ان نطلب من مولانا المنّان بالحاح وباحر التضرعات بقوله انه ينبغي ان تصلوا كل حين بلا انقطاع ولا تملوا، وليس ذلك لكي نعلم الله شيئاً كان لا يعلمه بل لغرض ان تشتد رغبتنا في العطايا الالهية ونشعر باننا ضعفاء وبان ليس لنا قدرة للاكتفاء بانفسنا والاستغناء عن نعمة الله

غير انه اوصانا المسيح في انجيله الطاهر ان لا نضع قيمة الصلاة في كثرة الالفاظ وتكرار العبارات كانها فعّالة بنفسها او كانها تقبل بالكيل والميزان ولا هي كثرة الحركات من السجود والركوع كما اعتاد بعضهم فعله متكلين عليها اعظم الاتكال

* * *

Mt VI إِحْتَرِزُوا أَنْ لَا تَصْنَعُوا بِرَّكُمْ (الخير) قُدَّامَ ٱلنَّاسِ لِكَيْ يَنْظُرُوكُمْ وَإِلَّا فَلَيْسَ لَكُمْ أَجْرٌ عِنْدَ أَبِيكُمُ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَكُونُوا كَٱلْمُرَائِينَ (الذين يعملون رياء للناس) فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ

ٱلقِيامَ فِي ٱلْمَجامِعِ وَفِي زَوَايَا ٱلشَّوَارِعِ يُصَلُّونَ لِيَظْهَرُوا
لِلنَّاسِ . ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا أَجْرَهُمْ
أَمَّا أَنْتَ فَإِذَا صَلَّيْتَ فَٱدْخُلْ مُخْدَعَكَ (بيتك)
وَأَغْلِقْ بَابَكَ وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ فِي ٱلْخِفْيَةِ وَأَبُوكَ
ٱلَّذِي يَرَى فِي ٱلْخِفْيَةِ هُوَ يُجَازِيكَ ☆ ان من بني
اسرائيل قوماً يسعون بكل حرص لاظهار التقوى فيعتنون
باتمام الفرائض الشرعية الخارجة من غسل ووضوء وصلاة وما
كان ذلك في الغالب الا لينالوا من الناس الشكر والاعتبار
ولا تصدر اعمالهم من تقوى حقيقية او عبادة خالصة فذمّهم
المسيح بهذا القول وامثاله واوصى تلاميذه ان لا يهتموا بالناس
بل يكتفوا بفرائض الدين وعمل الصالحات بطلب رضوان
الله الذي يرى القلوب ويعلم النيات والاعمال جهراً وخفيةً

الباب التاسع

محبة الغير

Mt XXII يا معلم ما اعظم الوصايا في الناموس (في
الشريعة) قال له يسوع أَحْبِبِ ٱلرَّبَّ إِلٰهَكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ
وَكُلِّ نَفْسِكَ وَكُلِّ ذِهْنِكَ هٰذِهِ هِيَ ٱلْوَصِيَّةُ ٱلْعُظْمَى
وَٱلْأُولَى . وَٱلثَّانِيَةُ ٱلَّتِي تُشْبِهُهَا أَحْبِبْ قَرِيبَكَ (غيرك)
كَنَفْسِكَ . بِهَاتَيْنِ ٱلْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ ٱلنَّامُوسُ كُلُّهُ
وَٱلْأَنْبِيَاءُ ☆ (الناموس والانبياء اي جميع ما فرضه الله
على الناس على يد الشريعة وعلى لسان الانبياء) فصارتا هاتان
الوصيتان أعظم اهمية وقدراً حتى انه تعالى لا يرضى بحفظ سائر
الوصايا والاحكام بغير حفظ هاتين الوصيتين فمن عمل الخير
بدون حركة المحبة الالهية حبطَ عمله ومن ادّعى انه محب الله
خالقه ولم يحب غيره كنفسه قد كذب وذهبت محبة الله . فقال :

Mr XII وَلَا وَصِيَّةَ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ
وَهُمَا أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ ٱلْمُحْرَقَاتِ وَٱلذَّبَائِحِ ☆

(والمحرقة الذبيحة التي تحرق وتفنى تعبداً لله واعترافاً بمطلق سلطانه)

* * *

J XV إِنِّي أَعْطَيْتُكُمْ وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَأَنْ يَكُونَ حُبُّكُمْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا * (وايضاً) هٰذِهِ هِيَ ٱلْوَصِيَّةُ أَنْ يُحِبَّ بَعْضُكُمْ بَعْضاً كَمَا أَنَا أَحْبَبْتُكُمْ

* * *

Mt XXIII إِنَّ مُعَلِّمَكُمْ وَاحِدٌ (وهو الله) وَأَنْتُمْ جَمِيعاً إِخْوَةٌ * فان كنا اخوة فمن الواجب ان نحب بعضنا بعضاً كما يحب الاخ اخاه فتأمل كم يكون الحديث لطيفاً والمعاشرة لذيذة في الارض . لو كانت تلك المحبة الاخوية مالكة بيننا

* * *

Mt V لِتَكُونُوا بَنِي أَبِيكُمُ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمٰوَاتِ لِأَنَّهُ يُطْلِعُ شَمْسَهُ عَلَى ٱلْأَشْرَارِ وَٱلصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى ٱلْأَبْرَارِ وَٱلظَّالِمِينَ *

* * *

L VI وايضاً تَكُونُوا بَنِي ٱلْعَلِيِّ فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى ٱلْغَيْرِ ٱلشَّاكِرِينَ وَٱلْأَشْرَارِ فَكُونُوا رُحَمَاءَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمْ (وهو الله) هُوَ رَحِيمٌ *

* * *

Mt VII وَكَمَا تُرِيدُونَ أَنْ يَفْعَلَ ٱلنَّاسُ بِكُمْ كَذٰلِكَ ٱفْعَلُوا أَنْتُمْ بِهِمْ * من المعلوم اننا لا نريد لانفسنا الا خيراً فالمطلوب اذاً من كل احد ان يتمنى لغيره الخير على كل حال فهكذا يُرفع الحسد والبغض والغش والظلم وسائر الافعال التي تغيظ الغير

* * *

Mr IX وَمَنْ سَقَاكُمْ كَأْسَ مَاءٍ بِٱسْمِي بِمَا أَنَّكُمْ لِلْمَسِيحِ فَٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لَا يُضِيعُ أَجْرَهُ * ان كأس ماء ليس بشيء عظيم ومع ذلك وعد المسيح بالأجر من سقى غيره باسمه اي بانه تلميذ المسيح او باسم الله تعالى محبةً له فيجازي الله المحسن اذا اراد بالاسقاء إظهار ما في

ضلوعه من المحبة لله تعالى فتنازل الله واوجب نفسه بمكافأة من احسن الى اخيه ولو بشيء قليل مثل كأس ماء

* * *

L VI لَا تَدِينُوا (لا تحكموا في باطنكم بحكم سوء على غيركم ولا تظنوا فيه شرًّا) فَلَا تُدَانُوا (اي لا يجازيكم الله بالعقاب يوم الدين) لَا تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلَا يُقْضَى عَلَيْكُمْ (يوم الحساب)

* * *

Mt VII لَا تَدِينُوا لِئَلَّا تُدَانُوا فَإِنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ. وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ * فاذا اردنا لطف الله ورحمته يوم الدين والحساب فلنكن لطفاء ورحماء مع غيرنا وهذا شرط جعله الله لمن طلب الغفران عن زلاته

* * *

Mt VII مَا بَالُكَ تَنْظُرُ الْقَذَى (ما يقع في العين من

تبنة او تراب دقيق) الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ وَلَا تَفْطَنُ لِلْخَشَبَةِ الَّتِي فِي عَيْنِكَ. أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لِأَخِيكَ دَعْنِي أُخْرِجُ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ وَهَا إِنَّ الْخَشَبَةَ فِي عَيْنِكَ. يَا مُرَائِي (يا ذا الوجهين) أَخْرِجْ أَوَّلاً الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ ثُمَّ تَنْظُرُ كَيْفَ تُخْرِجُ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ *

هذا المثل ضربه السيد المسيح في معنى العيوب والنقائص التي في الانسان فالقذى هو النقصان الخفيف الذي يُرى عند غيرنا والخشبة هي العيب الجسيم الذي لا يفطن به صاحبه وصار غالباً اننا نفطن بنقائص غيرنا ونكرهها ونبغضها ونطلب ازالتها بغاية الغيرة والخشانة بينما لا نرى ما فينا من العيوب التي هي اكبر مما في غيرنا فكان واجباً علينا ان نصبر على اخينا اولاً ونتقي انفسنا من شرّنا ثم نلتفت الى غيرنا لاصلاحه

* * *

Mt VI فَإِذَا صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلَا تَهْتِفْ (لا تصيح ولا تخبر) قُدَّامَكَ بِالْبُوقِ (الة ينفخ فيها) (اي لا تعلن على رؤوس الاشهاد) كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ (ذوو وجهين) لِكَي

يُمَجِّدَهُمُ ٱلنَّاسُ . أَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُمْ قَدْ أَخَذُوا أَجْرَهُمْ (لا يستاهلون اجراً عند الله حيث لم يتصدق لاجله تعالى بل لاجل شكر الناس) أَمَّا أَنْتَ فَإِذَا صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلَا تَعْلَمْ شِمَالُكَ مَا تَصْنَعُ يَمِينُكَ (اي لا تفتخر ولو في نفسك) لِتَكُونَ صَدَقَتُكَ فِي ٱلْخِفْيَةِ وَأَبُوكَ (الله) ٱلَّذِي يَرَى فِي ٱلْخِفْيَةِ هُوَ يُجَازِيكَ *

* * *

L XVI أَنَا أَقُولُ لَكُمْ ٱجْعَلُوا لَكُمْ أَصْدِقَاءَ بِمَالِ ٱلظُّلْمِ (المال الذي هو على الغالب يُكسب بالظلم او يَخدم الظلم فاعطوه للمساكين يصيرون لكم اصدقاء) حَتَّى إِذَا أَدْرَكَكُمُ ٱلْمَوْتُ يَقْبَلُونَكُمْ فِي ٱلْمَظَالِّ ٱلْأَبَدِيَّةِ *

(اي في الجنة او في الفردوس حيث ننال تمام الراحة الى الدوام كما يستريح المسافر في المظالّ اي البيوت وقت الحرّ)

* * *

L VI أَعْطُوا تُعْطَوْا (يعطونكم) إِنَّكُمْ تُعْطَوْنَ

كَيْلًا صَالِحاً مُلَبَّدًا (اي كثير الحب) مَهْزُوزًا فَائِضاً فِي أَحْضَانِكُمْ لِأَنَّهُ بِٱلْكَيْلِ ٱلَّذِي تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ *

* * *

Mt V فَإِذَا قَدَّمْتَ قُرْبَاناً (كل ما يتقرب به الى الله تعالى من ذبيحة وغيرها) إِلَى ٱلْمَذْبَحِ وَذَكَرْتَ هُنَاكَ أَنَّ لِأَخِيكَ عَلَيْكَ شَيْئاً فَدَعْ قُرْبَانَكَ أَمَامَ ٱلْمَذْبَحِ وَٱمْضِ أَوَّلاً فَصَالِحْ أَخَاكَ ثُمَّ ٱئْتِ وَقَدِّمْ قُرْبَانَكَ *

ان القربان والذبيحة والتقدمة شيء مرضٍ عند الله ومقبول لديه بل قُل انه واجب على الانسان اذ انه يعترف بجلالته تعالى وحكمه العظيم الا انه لا يبالي الله بها ان كان مقدمها مبغضاً لاخيه وعدوّاً لغيره فصار كلا شيء . وذهبت قيمتها باطلًا فالاجدر حينئذٍ ان يتركها هناك وان يصالح اولاً اخاه بالصفح واللطافة والمحبة

* * *

L VI إِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ * اي اصفحوا عمّن اساء اليكم ان اردتم ان يغفر الله تعالى عن زلاتكم وان لم تغفروا لا يغفر لكم

* * *

Mt VI فصلوا هكذا : أَبَانَا ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَوَاتِ .

والآيـة الى إِغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَحْنُ نَغْفِرُ لِمَنْ أَسَاءَ
إِلَيْنَا * كما سبق في تفسير هذه الصلاة

* * *

L XVII إِذَا خَطِئَ إِلَيْكَ أَخُوكَ فَوَبِّخْهُ (لمهُ هدده)
وَإِنْ تَابَ فَاغْفِرْ لَهُ وَإِنْ خَطِئَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي
الْيَوْمِ وَرَجَعَ إِلَيْكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ قَائِلًا أَنَا تَائِبٌ فَاغْفِرْ لَهُ

* * *

Mt XVIII فحينئذٍ دنا اليه احد تلاميذه وقال له كم
مرة يخطى اليَّ اخي فاغفر له أَ إلى سبع مرات فقال له
يسوع : لَا أَقُولُ لَكَ إِلَى سَبْعِ مَرَّاتٍ بَلْ إِلَى سَبْعِينَ
مَرَّةً سَبْعَ مَرَّاتٍ * (اي بلا عدد ولا حساب) فَإِنَّكُمْ
إِنْ غَفَرْتُمْ لِلنَّاسِ زَلَّاتِهِمْ يَغْفِرُ لَكُمْ أَبُوكُمُ السَّمَاوِيُّ
زَلَّاتِكُمْ وَإِنْ لَمْ تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ فَأَبُوكُمْ أَيْضًا لَا
يَغْفِرُ لَكُمْ زَلَّاتِكُمْ

* * *

Mt XVIII وقال ايضاً إِنَّ رَجُلًا مَلِكًا أَرَادَ أَنْ
يُحَاسِبَ عَبِيدَهُ . فَلَمَّا بَدَأَ بِمُحَاسَبَتِهِمْ أُحْضِرَ إِلَيْهِ
وَاحِدٌ عَلَيْهِ عَشَرَةُ آلَافِ وَزْنَةٍ (نوع من الصرف في ذلك
الزمان) وَإِذْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَا يُوفِي أَمَرَ سَيِّدُهُ أَنْ يُبَاعَ
هُوَ وَامْرَأَتُهُ وَبَنُوهُ وَكُلُّ مَا لَهُ وَيُوفَى عَنْهُ . فَخَرَّ
(اكبّ على الارض وسجد) ذَلِكَ الْعَبْدُ سَاجِدًا لَهُ قَائِلًا
تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيكَ كُلَّ مَا لَكَ . فَرَقَّ (رحمه)
سَيِّدُ ذَلِكَ الْعَبْدِ وَأَطْلَقَهُ وَتَرَكَ لَهُ الدَّيْنَ . وَبَعْدَ مَا
خَرَجَ ذَلِكَ الْعَبْدُ وَجَدَ عَبْدًا مِنْ أَصْحَابِهِ لَهُ عَلَيْهِ
مِئَةُ دِينَارٍ (الدينار ضرب قديم من النقود الذهبية اقل قيمة
من الوزنة) فَأَمْسَكَهُ وَأَخَذَ يَخْنُقُهُ قَائِلًا أَوْفِنِي مَا لِي
عَلَيْكَ . فَخَرَّ ذَلِكَ الْعَبْدُ عَلَى قَدَمَيْهِ وَسَأَلَهُ قَائِلًا
تَمَهَّلْ عَلَيَّ فَأُوفِيكَ كُلَّ مَا لَكَ . فَأَبَى (لم يرد)
وَمَضَى وَطَرَحَهُ فِي السِّجْنِ حَتَّى يُوفِيَ الدَّيْنَ . فَرَأَى

رُفَقَاؤُهُ مَا كَانَ فَحَزِنُوا جِدًّا وَجَاءُوا فَأَعْلَمُوا سَيِّدَهُمْ
بِكُلِّ مَا كَانَ . حِينَئِذٍ دَعَاهُ سَيِّدُهُ وَقَالَ لَهُ أَيُّهَا الْعَبْدُ
الشِّرِّيرُ كُلُّ مَا كَانَ لِي عَلَيْكَ تَرَكْتُهُ لَكَ لِأَنَّكَ
سَأَلْتَنِي أَفَمَا كَانَ وَاجِباً لَكَ أَنْ تَرْحَمَ رَفِيقَكَ كَمَا
رَحِمْتُكَ أَنَا . وَغَضِبَ سَيِّدُهُ وَدَفَعَهُ إِلَى الْمُعَذِّبِينَ حَتَّى
يُوفِيَ جَمِيعَ مَا لَهُ عَلَيْهِ . فَهَكَذَا الْآبُ السَّمَاوِيُّ
يَصْنَعُ بِكُمْ إِنْ لَمْ تَغْفِرُوا مِنْ قُلُوبِكُمْ كُلُّ وَاحِدٍ
لِأَخِيهِ

* * *

L VI أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ
(وليس احبابكم فقط) وَأَحْسِنُوا إِلَى مَنْ يُبْغِضُكُمْ
وَبَارِكُوا لَاعِنِيكُمْ وَصَلُّوا لِأَجْلِ مَنْ يُعْنِتُكُمْ (يعذبكم)
فَإِنَّكُمْ إِنْ أَحْبَبْتُمْ مَنْ يُحِبُّكُمْ فَأَيُّ فَضْلٍ لَكُمْ فَإِنَّ
الْخَطَأَةَ (المذنبين الذين ليس لهم محبة الله) يُحِبُّونَ مَنْ

يُحِبُّهُمْ . وَإِنْ أَحْسَنْتُمْ إِلَى مَنْ يُحْسِنُ إِلَيْكُمْ فَأَيُّ أَجْرٍ
لَكُمْ فَإِنَّ الْوَثَنِيِّينَ (الذين لا يعرفون الله) هٰكَذَا
يَصْنَعُونَ * فهكذا امرنا السيد المسيح بالمحبة للاعداء وهذا
امر عجيب معيب جداً فالعدوّ هو من لا يشتهيني ولا يريد
لي خيراً بل يطلب لي الشر والضرر · رجل احسنت اليه فتركني
وغفل عني او اهانني وخدعني فصار يزرع عداوة بيني وبين غيري
او يبذل مجهوده لإنزال الخسائر على تجارتي او على مطلوبي
فهذا العدوّ وجب عليّ الصفح عنه والاحسان اليه أفلا يجوز
لي الانتقام والاخذ بالثار منه حتى يذوق بيدي ما حملت منه
شرّاً ؟ كلا فان المسيح امرنا بقول صريح ان نحب اعداءنا
ونحسن اليهم ونصلي لاجلهم وبذلك ننال الاجر عند الله
ويحسب لنا فضلاً فان لم نفعل هكذا لسنا من تلاميذه · فبناء
على ذلك ان كان عدوّك مصاباً او معذباً فشاركه في حزنه
وان لقاه خير ونجاح فافرح بفرحه وتمنّ له اعظم من ذلك
وان امكن لك اعانته في احتياجه فافعل ولا تذكره ولا
تعامله الا بالخير ولا تشتكِ عند عدم احسانه اليك وان حدثته
لا يكن حديثك معهُ الا ظريفاً لطيفاً واطلب الله لرجوعهِ
الى سبيل الخير وخلاص نفسه · بهذا امرنا المسيح حين اراد
ان يطفئ نار العداوة وان يرطّب قساوة قلوبنا فان اساء الينا

فلنسلم امرنا الى الله ونحفظ المحبة بعضنا نحو بعض

* * *

Mt V فَكُونُوا كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ ٱلسَّمَاوِيَّ هُوَ كَامِلٌ * وان كبر عليك احتمال الغير اذا عمل معك سوءًا فارفع نظرك الى العلا الى ابيك السماوي فان كثيرين يعصونه في اوامره ويكفرون باسمهِ العزيز ويجحدون وجوده وصفاته ورحمته ومع ذلك لا يقطع عنهم رحمتــه واحسانه الكثير . ويبسط عليهم الشمس وينزل عليهم المطر في وقتــه ويكافي شرهم بالخير لانهُ صالح بلا انتهاء . فتعلم منه تعالى الصلاح والاحسان واحب خلائق الله جميعاً

* * *

Mt V قَدْ سَمِعْتُمْ (في شريعة موسى) أَنَّهُ قِيلَ ٱلْعَيْنُ بِٱلْعَيْنِ وَٱلسِّنُّ بِٱلسِّنِّ (وهو القصاص) أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ ٱلْأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ ٱلْآخَرَ * قد جاء المسيح مصدقاً لما قبله من الاحكام ولم ينسخها بل اتى بتكميلها بصورة جديدة جميلة تفوق صورتهـا الاولى قد قال الاولون لا تظلم من احسن اليـك وعاملك

بالمعروف لكن يجوز لك الانتقــام والاخذ بالثار ممن ظلمك فان ظلمك بشيء فانتقم منه بمثلهِ فالعين بالعين والسن بالسن اما المسيح فقد ابطل هذا الحكم وامر تلاميذه ان لا يردّوا الشر في الشر بل يغلبوا الشر بالخير حتى قال ان لا يقوم للانتقــام من ضُرب على خدّ بل ليتحمل منه ويصبر له ويصفح عنــه وان كان قلبه ممتلئاً محبة فليحوّل له الخدّ الاخر لأخذ الضرب فهكذا علّم وعمل السيد المسيح إذ انه احتمل انواع الاهانة والضرب بلا جواب وصفح عمّن كان يعذّبه حيث قال يوم عذابه بين ايدي اليهود يَا أَبَتِي (اي الله) إِغْفِرْ لَهُمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ مَاذَا يَعْمَلُونَ . هذا وان كان الصبر والاحتمال واجباً للمسيحي جاز لــه اخذ حقه اذا ظلم بواسطة الحكام والقضاة ولكن بغير حقد او بغض

* * *

Mt XVIII أَلْوَيْلُ لِلْعَالَمِ مِنَ ٱلشُّكُوكِ (جمع شكّ يُطلق في اللغة المسيحية بمعنى إغوار غيرنا والدعوى الى المعصية والهلاك) . فَإِنَّهَا لَا بُدَّ أَنْ تَقَعَ ٱلشُّكُوكُ (لاجل خبث الانسان) وَلٰكِنِ ٱلْوَيْلُ لِذٰلِكَ ٱلْإِنْسَانِ ٱلَّذِي

تَقَعُ ٱلشُّكُوكُ عَنْ يَدِهِ اي دعا غيره الى المعصية بسيرته الرديئة او بكلامه) إِنَّهُ خَيْرٌ لَهُ لَوْ عُلِّقَ فِي عُنُقِهِ حَجَرُ ٱلرَّحَى وَطُرِحَ فِي ٱلْبَحْرِ (للموت) * قاله عمن جذب الى المعصية الصبيان الصغار الذين لا يعرفون الشر من الخير وكذلك عمن صار سبباً لعثرة غيره في الذنوب

* * *

Mt VI فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ قُدَّامَ ٱلنَّاسِ لِيَرَوْا أَعْمَالَكُمُ ٱلصَّالِحَةَ وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَوَاتِ *

قد قال سابقاً ان لا نعمل الخير رياءً للناس ان اردنا الاجر عند الله . فقال هنا ان نعمل الاعمال الصالحة ليراها الناس وذلك لا لعجزنا الذاتي كأن الخير صادرٌ منا او من قوتنا ولكن لتمجيد الله تعالى مصدر كل خير وبحر كل صلاح ليقتدِ بنا غيرُنا في فعل الخير بنظره اعمالنا الصالحة

الباب العاشر

الفقر والغنى

L VI طُوبَى (السعد) لَكُمْ أَيُّهَا ٱلْمَسَاكِينُ فَإِنَّ لَكُمْ مَلَكُوتُ ٱللهِ (الجنة) * ان المسكين بشّره المسيح بالسعد واليمن وقد كان لم يسمع من قبله الآ قولاً كريماً اذ ان العالم جعل غاية السعد في مجموع الاموال والكنوز واليها يجري اغلب الناس الغافلون فمن ذلك اعتادوا يحتقروا من ليس له ثروة ومال، وقال المسيح طوبى للمساكين الا ان هذه البشرى لا تطلق على جميع المساكين من حيث حال فقرهم فمنهم من لا يستحق ذلك السعد من اجل ذنوب قد ارتكبها وانما السعد للمساكين الذين يصبرون في حالتهم الضيقة ويحملون فقرهم بفرح وانحطاط وشكر خاضعين لامر الله تعالى في كل حال ولا يسعون الى الخروج من فقرهم بطريق الظلم، وفيه فرصةٌ للمسكين السالك في طريق الصواب ولربح اجر عظيم عند الله بخلاف الغني الذي في خطر جسيم ان كان لا يقتنع بما له بل طلب الزيادة، وخاف حقوق الناس فصار يقضي ايامه في الهم والغمّ وبحرصه وشوقه الى الدنيويات تغافل عن طلب الاجر

الذي هو اعظم منها بكثير

✲✲✲

Mt XVI حَيْثُ يكُونُ كَنْزُكَ هُناكَ يَكُونُ قَلْبُكَ ✲

من الطبيعي ان يشتغل القلب بموضوع حب ويترجم عنه اللسان حتى يكاد المرء يغفل عما سواه ولا يذوق نوماً ولا راحة الى ان يناله، اما الانسان المبتلى بحب المال الحريص على جمع الكنوز فقد اصبح عبداً للفضة والذهب ولا عبداً لله خالقه فلذالك حذّرنا المسيح من المحبة الزائدة للاموال لئلا تتعلق بها قلوبنا تعلقاً مفرطاً

✲✲✲

L XII إِحْذَرُوا وَتَحفَّظُوا مِنْ كُلِّ بُخْلٍ (خلاف السخاء) لِأَنَّهَا لَيْسَتْ حَيَاةُ أَحَدٍ بِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِ ✲

ان اكثار الاموال والامساك بهما لا يجعل صاحبهما سعيداً بالتمام في هذه الدنيا وان فُرض انه سعيدٌ في هذه الحياة لا بدّ له من تركها وفراقها عند الموت واما الحياة الآتية الدائمة فلا يفوز بها من كان كثير المال في الدنيا بل من طلبها بفعل الخير والحسنات

✲✲✲

Mt VI وَأَيْضاً لَا تَكْنِزُوا لَكُمْ كُنُوزاً عَلَى ٱلْأَرْضِ حَيْثُ يُفْسِدُ ٱلسُّوسُ وَٱلْآكِلَةُ وَيَنْقُبُ ٱلسَّارِقُونَ وَيَسْرِقُونَ لٰكِنِ ٱكْنِزُوا . الخ (قد سبق تفسيره)

✲✲✲

Mt VI لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْبُدُوا رَبَّيْنِ لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَعْبُدُوا ٱللهَ وَٱلْمَالَ ✲ ان الربين اللذين قال عنهما السيد المسيح انه يستحيل عبادتهما معاً انما هما من جهة الاله الحقيقي خالق السماء والارض ومن الجهة الاخرى الهٌ وهميٌّ اي خيرات هذا العالم الباطلة . واذا ما احبّها الانسان فوق كل شيء كما لو كانت غايته الاخيرة فلا يستطيع ان يحب الله محبة سامية فيجب اذن على من اراد ان يعبد الله عبادة مخلصة صادقة ان يزدري خيرات هذا العالم عندما تكون عائقاً عن خدمته عزّ وجلّ

✲✲✲

Mt VI أُنظُرُوا إِلَى طُيُورِ ٱلسَّمَاءِ فَإِنَّهَا لَا تَزْرَعُ وَلَا تَحْصُدُ وَلَا تَخْزِنُ وَأَبُوكُمُ ٱلسَّمَاوِيُّ يَقُوتُهَا أَفَلَسْتُمْ أَنْتُمْ أَفْضَلَ مِنْهَا ؟ فَلَا تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ مَاذَا نَأْكُلُ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ * اي لا تهتموا بهذا كله اهتماماً زايداً يصدّكم عن طاعة الله وان كان الاشتغال به واجباً كما في تفسير هذه الآية اعلاه

* * *

L XI وفيما هم سائرون في الطريق قال ليسوع واحد: اتبعك الى حيث تمضي فقال له يسوع : إِنَّ لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةً (حفرة او كهف في الجبال للوحوش) وَلِطُيُورِ ٱلسَّمَاءِ أَوْكَارًا (اعشاش) وَأَمَّا أَنَا فَلَيْسَ لِي مَوْضِعٌ أَسْنِدُ إِلَيْهِ رَأْسِي * فبهذا الكلام ظهر لنا أن السيد المسيح كان لا يملك داراً ولا مسكناً وانه كان يقيم في اي موضع كان وهو مستبعد عن محبة المال والثروة فأخبر ذلك الرجل الذي اراد اتباعه بأن ليس له مال يكافيه به ان كان طالباً اياه

* * *

Mr X قال لتلاميذه مَا أَعْسَرَ عَلَى ذَوِي ٱلْأَمْوَالِ أَنْ يَدْخُلُوا مَلَكُوتَ ٱللهِ (الجنة) فانذهل التلاميذ (تعجبوا) لكلماته فاجاب يسوع ايضاً وقال لهم (يا بَنيّ) مَا أَعْسَرَ (اصعب) عَلَى ٱلْمُتَّكِلِينَ عَلَى ٱلْأَمْوَالِ أَنْ يَدْخُلُوا مَلَكُوتَ ٱللهِ إِنَّهُ لَأَسْهَلُ أَنْ يَدْخُلَ ٱلْجَمَلُ (بكبره) فِي ثَقْبِ ٱلْإِبْرَةِ (الدقيق) مِنْ أَنْ يَدْخُلَ غَنِيٌّ مَلَكُوتَ ٱللهِ * ان السيد المسيح صرّح بأن دخول الجنة عسير على ذوي الاموال الذين يتكلون على الاموال اذا جعلوا فيها حياتهم واهمّ فكرهم وغاية مقصودهم الى ان افرطوا حفظ واجباتهم لله وواجباتهم للعباد . فقال له المجد ان الفوز بالحياة الدائمة عسير لذوي الاموال وذلك من ضعف الانسان وقوة ميله الى الحرص على الثروة والرفاهة فان اراد الغني خلاص نفسه بعد هذه الحياة فعليه أَن يتحذر من ذلك الميل ويتحفظ من التعلق بها . اما دخول الجمل ثقب الابرة مثال ظاهر على صعوبة الامر لا على استحالته

الباب الحادي عشر

التوبة

Mt VII أُدْخُلُوا مِنَ ٱلْبَابِ ٱلضَّيِّقِ لِأَنَّهُ وَاسِعٌ ٱلْبَابُ وَرَحْبٌ ٱلطَّرِيقُ ٱلَّذِي يُؤَدِّي إِلَى ٱلْهَلَاكِ وَٱلدَّاخِلُونَ فِيهِ كَثِيرُونَ . مَا أَضْيَقَ ٱلْبَابَ وَأَحْرَجَ ٱلطَّرِيقَ ٱلَّذِي يُؤَدِّي إِلَى ٱلْحَيَاةِ وَقَلِيلُونَ ٱلَّذِينَ يَجِدُونَهُ *

الطريق الذي يؤدي الى الهلاك الابدي والشقاوة التي لا فناء لها رحب وسهل وهو طريق الذين لا يريدون المخالفة لانفسهم بل يعيشون بحسب غرضهم ولا يبالون بحدود الله ولا بحقوق الناس وهم مستقلون عن جميع الشرائع معفون من كل فرض كأنه لا يوجد اله ولا حساب، واننا نرى كثيرين من اشباهنا منحدرين في مثل هذه الطريق بينما ان من الناس من يسعون الى الحصول على الفوز بالحياة الدائمة وخلاص النفس وهم محافظون على جميع الوصايا الكبيرة منها والصغيرة ويسيرون في هذه الطريق الاحرج بجدٍّ وجهد رغماً عن التجارب الشديدة وصعوبات الحال، هم قليلون الا انهم هم المفلحون

* * *

L VIII إِنْ لَمْ تَتُوبُوا (عن ذنوبكم ومعصياتكم) تَهْلِكُوا (في النار) جَمِيعُكُمْ * بلا امتياز او نظر الى حالكم في الدنيا ولكن بالنظر الى الاعمال فلا يفتخر احدكم بشرف النسب او بقدره فانه ان لم يتب عن ذنوبه قبل حضوره بين ايدي الخالق ولم يُطهر قلبه من كل سيئة بالتوبة الحقيقية لا يكون له رجاء في الغفران والرضوان . اما التوبة فهي على نوعين توبة ناقصة لا تجلب العفو وهي توبة مَن حزن على فعله السوء لاجل ما فيه من القباحة لدى الناس او لاجل العقوبة التي ينالها فاعلها وهي توبة الخوف فقط لا توبة المحبة، اما التوبة الكاملة الحقيقية المفيدة الخلاص فهي توبة مَن حزنَ على اعماله الشريرة عند تفكره بفضل الله واحسانه العظيم فيغيظه ذلك الفعل من هذا الوجه وهي توبة البنين لا توبة المستأجرين والعبيد ولها الغفران والمكافأة عند ابينا الذي في السموات

* * *

Mt VII كُلُّ شَجَرَةٍ لَا تُثْمِرُ ثَمَرًا جَيِّدًا (طيباً)

تُقْطَعُ (بعد حين) وَتُلْقَى فِي ٱلنَّارِ (لاجل عدم منفعتها) *

وهــذا الكلام القاه السيد المسيح مثـلًا على الانسان الذي جعله الله في هذا العالم لكي يعمل عملًا صالحًا كما انه يغرس الفلاح شجرة لكي تعطي له ثمرًا في وقتهِ واذا امسى الانسان في آخر حياته فارغًا من العمل الصالح ينقلـهُ الملك العظيم الى عذاب جهنم كما ان الفلاح يفلح تلك الشجرة ويكسرها ثم يحرقها وهــذا دليل ظاهر على ان الله سبحانه وتعالى لا ينظر الى اصل الشجرة اي اجداد الانسان او احواله الدنيويـة بل ينظر الى اعمالهِ لكي يجازيه عنها بالجنة ان كانت صالحة او بعقاب النار الدائمة ان كانت فاسدة فتأمل

***

L XIII كَانَ لِرَجُلٍ تِينَةٌ (شجر معروف) مَغْرُوسَةٌ فِي كَرْمِهِ (ارض فيها اشجار مختلفـة) فَجَاءَ (في وقت الثمر) يَطْلُبُ فِيهَا ثَمَرًا فَلَمْ يَجِدْ فَقَالَ لِلْكَرَّامِ (لعامل الارض) هَا إِنَّ لِي ثَلَاثَ سِنِينَ آتِي وَأَطْلُبُ ثَمَرًا فِي هٰذِهِ ٱلتِّينَةِ فَلَا أَجِدُ فَاقْطَعْهَا فَلِمَاذَا

تُعَطِّلُ ٱلْأَرْضَ . فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُ يَا سَيِّدُ دَعْهَا هٰذِهِ ٱلسَّنَةَ أَيْضًا حَتَّى أَعْزِقَ حَوْلَهَا (احفر لهـا الجوانب) وَأُلْقِي دِمَالًا (الزبـل المستعمل لاصلاح الارض) فَإِنْ أَثْمَرَتْ (ان اثمرت منعت) وَإِلَّا فَتَقْطَعُهَا فِيمَا بَعْدُ *

ان التينـة المغروسة في كرم ذلك الرجل كناية عن الانسان الذي خلقه الله وجعله في هذه الدنيا لكي يثمر اي يعمـل الصالحات ثم ياتي الله وقت الثمر اي حين يبلغ الانسان الى اشد عقله ويصير يميز بين الخير والشر بين الحلال والحرام فيطلب الله منه الثمر أي ذلك الثمر الجيد وان لم يجده فيه يُخاف عليه ان يقطعه ويقلعه من الدنيا والا يتركه الى حكم شهواته لهلاكه الدائم، إلا فان الله تعالى في رحمته يصبر عليه مدة طويلة لعلـه يرجع الى عقلـه ويصلح عمله . واذا رأى الانسان ان الله لا يظهر غضبه على معصياته فلا يظن انه تعالى عاجزٌ عنه ويده قصيرة والحق انه عز وجل انما اهمله الى حين لعلـه يرجع عن شروره

***

Mt XVI قال سيدنا عيسى لتلاميذه : مَنْ أَرَادَ أَنْ

يَتْبَعْنِي فَلْيَكْفُرْ بِنَفْسِهِ * اي ليخالف طلبات نفسه الفاسدة .
وَأَيضاً مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ (في الاخرة) يُهْلِكُهَا
(اي يعذبها في هذه الدنيا)

* * *

Mt XVI وَمَنْ أَهْلَكَ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي يَجِدُهَا
(في الجنة) * ان المسيح له المجد لم يدعُ الناس الى الفرح المفرط ولا الى اللهو في الدنيا بل قال كما سبق : طُوبَى لِلْمَسَاكِينَ وَطُوبَى لِلْبَاكِينَ . الخ فلذلك قال من اراد ان يتبعني فليكفر بنفسه لانّ النفس تطلب الغنى والفخر واللذات الجسدية فإن اطاع الانسان تلك الاميال المنحرفة عصى الله تعالى الذي نهاه عن المنكر والفحش وكان سيدنا عيسى مثالاً ظاهراً في المخالفة لشهوات النفس والدنيا فمن اراد ان يتبعه يجب عليه أن يهلك نفسه فيجدها في السعادة الدائمة

* * *

Mt XVII ودنا الى يسوع رجل فسجد لهُ وقال يا رب ارحم ابني فانهُ يتألم جدًّا لانهُ يقع كثيرًا في النار وكثيرًا في الماء

وقد قدمتهُ لتلاميذك فلم يستطيعوا ان يشفوه ... وانتهره يسوع فخرج منهُ الشيطان وشُفي الغلام من تلك الساعة . حينئذٍ دنا التلاميذ الى يسوع على انفراد وقالوا لهُ لماذا لم نستطع نحن ان نخرجه فقال لهم يسوع هذا الجنس لَا يَخْرُجُ إِلَّا بِٱلصَّلَاةِ وَٱلصَّوْمِ * لا يخفاك ان كان التلاميذ ملازمين الصلاة والصوم حيث انهم رفقاء المسيح الذي احب الصلاة والصوم الا انهم مع هذا لم يكونوا قد طهرُوا قلوبهم ولم يغلبوا انفسهم الى ذلك الحد حتى تطيعهم الارواح النجسة فان كان هؤلاء الرجال الصالحون محتاجين الى التوبة والاستغفار فكيف حالنا نحن المذنبين وكم يجب علينا ان نرد اميال انفسنا ان اردنا تلك الطهارة التي بها نرضي المولى . فتعلم ايضاً من هذا الكلام الشريف ان الخير والشر بين ايدينا ولنا الاختيار بينهما واننا واقعون بين الطريقين الرحب والضيق الموصّلين الى الخلاص او الهلاك فان طلبنا الهلاك فلا صعوبة فيه ولا توبة واجبة وان اردنا الخلاص فعلينا بالحرص وقمع انفسنا بالصلاة والصوم وغيره من الاعمال الصالحة

* * *

L XV أَقُولُ لَكُمْ يَكُونُ فِي ٱلسَّمَاءِ فَرَحٌ بِخَاطِىءٍ

وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِمَّا يَكُونُ بِتِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ
صِدِّيقاً لا يَحْتَاجُونَ إِلَى ٱلتَّوْبَةِ * فصرح المسيح عليهِ
السلام ان ابانا الـذي في السموات رحمن رحيم رؤوف حليم
يتوب عن التائبين ولا يرفض المتقدمين اليهِ بل يقبل التوبة ممن
كان عاصياً ويكون سروره تعالى لاجلـهِ اكثر من سروره
بخلاص صالحين كثيرين . لان التلاقي بعد الفراق، والوجود بعد
الضياع احلى واعظم . فكان الخاطئ بذنوبهِ قد تراخى في
خلاص نفسهِ واشرف على هلاكها وكاد ان يدخـل صفوف
الشقيين فعاد بتوبته عـلى طريقه وتوجه الى خدمة الله تعالى
وهذا هو سبب الفرح الذي في السماء يوم رجوعه

* * *

L XV قال سيدنا عيسى المسيح رَجُلٌ كَانَ لَـهُ ٱبْنَانِ
فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ أَعْطِنِي ٱلنَّصِيبَ ٱلَّذِي
يَخُصُّنِي مِنَ ٱلْمَالِ فَقَسَمَ لِكُلٍّ مِنْهُمَا مَعِيشَتَهُ . وَبَعْدَ
أَيَّامٍ غَيْرِ كَثِيرَةٍ جَمَعَ ٱلِٱبْنُ ٱلْأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ لَـهُ
وَسَافَرَ إِلَى بَلَـدٍ بَعِيدٍ وَبَذَّرَ مَالَـهُ هُنَاكَ عَائِشاً فِي

ٱلْخَلَاعَةِ . فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ لَهُ حَـدَثَ فِي ذٰلِكَ
ٱلْبَلَدِ مَجَاعَةٌ شَدِيـدَةٌ فَأَخَـذَ فِي ٱلْعَوَزِ . فَذَهَبَ
وَأَكْرَى عَمَلَهُ لِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ ذٰلِكَ ٱلْبَلَدِ فَأَرْسَلَهُ إِلَى
أَرْضِهِ يَرْعَى ٱلْخَنَازِيرَ . وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلَأَ بَطْنَـهُ
مِنَ ٱلْخُرْنُوبِ ٱلَّذِي كَانَتِ ٱلْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ وَلَمْ يُعْطِهِ
أَحَدٌ . فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَـالَ كَمْ لِأَبِي مِنْ أُجَرَاءَ
يَفْضُلُ عَنْهُمُ ٱلْخُبْزُ وَأَنَا هٰهُنَا أَهْلِـكُ جُوعاً . أَقُومُ
وَأَمْضِي إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ يَا أَبَتِ قَدْ خَطِئْتُ إِلَى
ٱلسَّمَاءِ وَأَمَامَكَ وَلَسْتُ مُسْتَحِقّاً بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ
ٱبْناً فَٱجْعَلْنِي كَأَحَدِ أُجَرَائِكَ . فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيـهِ
وَفِيمَا هُوَ بَعِيدٌ رَآهُ أَبُوهُ فَتَحَنَّنَ عَلَيْهِ وَأَسْرَعَ وَأَلْقَى
بِنَفْسِهِ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ . فَقَالَ لَهُ ٱلِٱبْنُ يَا أَبَتِ قَـدْ
خَطِئْتُ إِلَى ٱلسَّمَاءِ وَأَمَامَكَ وَلَسْتُ مُسْتَحِقّاً بَعْدُ أَنْ أُدْعَى
لَكَ ٱبْناً . فَقَالَ ٱلْأَبُ لِعَبِيدِهِ هَاتُوا ٱلْحُلَّةَ ٱلْأُولَى
وَأَلْبِسُوهُ وَٱجْعَلُوا فِي يَدِهِ خَاتَماً وَفِي رِجْلَيْهِ ٱلنِّعَالَ

وَأْتُوا بِٱلْعِجْلِ ٱلْمُسَمَّنِ وَٱذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ لِأَنَّ
ٱبْنِي هٰذَا كَانَ مَيِّتاً فَعَاشَ وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ .
فَطَفِقُوا يَفْرَحُونَ . وَكَانَ ٱبْنُهُ ٱلْأَكْبَرُ فِي ٱلْحَقْلِ
فَلَمَّا أَتَى وَقَرُبَ مِنَ ٱلْبَيْتِ سَمِعَ أَصْوَاتَ ٱلْغِنَاءِ
وَٱلرَّقْصِ فَدَعَا أَحَدَ ٱلْغِلْمَانِ وَسَأَلَهُ مَا هٰذَا . فَقَالَ
قَدْ قَدِمَ أَخُوكَ فَذَبَحَ أَبُوكَ ٱلْعِجْلَ ٱلْمُسَمَّنَ لِأَنَّهُ
لَقِيَهُ سَالِماً . فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ . فَخَرَجَ
أَبُوهُ وَطَفِقَ يَتَوَسَّلُ إِلَيْهِ فَأَجَابَ وَقَالَ لِأَبِيهِ كَمْ لِي
مِنَ ٱلسِّنِينَ أَخْدُمُكَ وَلَمْ أَتَعَدَّ وَصِيَّتَكَ قَطُّ وَأَنْتَ لَمْ
تُعْطِنِي قَطُّ جَدْياً لِأَتَنَعَّمَ مَعَ أَصْدِقَائِي وَلَمَّا جَاءَ
ٱبْنُكَ هٰذَا ٱلَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ ٱلزَّوَانِي ذَبَحْتَ
لَهُ ٱلْعِجْلَ ٱلْمُسَمَّنَ . فَقَالَ لَهُ يَا ٱبْنِي أَنْتَ مَعِي فِي
كُلِّ حِينٍ وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ وَلٰكِنْ كَانَ
يَنْبَغِي أَنْ نَتَنَعَّمَ وَنَفْرَحَ لِأَنَّ أَخَاكَ هٰذَا كَانَ مَيِّتاً
فَعَاشَ وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ

الباب الثاني عشر

مخالفة النفس

Mt XVI مَنْ أَرَادَ أَنْ يَتْبَعَنِي فَلْيَكْفُرْ بِنَفْسِهِ *

اي لا ينبغي ان يتبع المسيح لاجل فوائد ارضية زمنية لانه لم يأتِ بتلك الخيرات الفانية بل اتى منذراً ومعلماً وتعليمه ان يُطاع الله في جميع اوامره وان يخالف الانسان امياله الذاتية المنحرفة من التكبر والشراهة وغير ذلك — ولا يمكن لاحدٍ ان يكون تلميذاً للمسيح الا بهذا الشرط اي ان يكفر بنفسه

* * *

Mt X لَا تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لِأُلْقِيَ عَلَى ٱلْأَرْضِ سَلَاماً لَمْ آتِ لِأُلْقِيَ سَلَاماً لٰكِنْ سَيْفاً * اي انه لم يأت بالهناء الارضي والطاعة لطلبات الجسد بل اتى بالهناء الباطني القلبي الذي لا يحصل عليه عبد الا بعد المقاومة لامياله المنحرفة كأنه في حرب مع نفسه والنفس عدوّ لنا . فلأجل

ذلك قال انه أتى ليلقي سيفاً . أَتَيْتُ لِأُفَرِّقَ إِنْسَانًا عَنْ أَبِيهِ : (اي ان يعصي الابن اباه اذا كان ذلك واجباً لحفظ وصايا الله) . وَٱلِٱبْنَةَ عَنْ أُمِّهَا * كما وقع احياناً في التاريخ عن بنين نكروا داعي المحبة الابوية مفضلين عليها الطاعة الكاملة لله

***

Mt X مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي (اي فضلها على طاعة المسيح) فَلَنْ يَسْتَحِقَّنِي . (اي لا يستحق ان يكون تلميذاً له او يدّعي بطريقته) وَمَنْ أَحَبَّ ٱبْنًا أَوْ بِنْتًا أَكْثَرَ مِنِّي فَلَنْ يَسْتَحِقَّنِي

***

L XIV إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَٱمْرَأَتَهُ وَبَنِيهِ وَإِخْوَانَهُ وَأَخَوَاتِهِ بَلْ نَفْسَهُ أَيْضًا فَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا * فمن المعلوم ان

المسيح امرنا بالمحبة للوالدين والاقرباء بل لانفسنا اذ قال : أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَحْبِبْ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ ثم امرنا بالبغض بقوله اعلاه ولكن هذا بمعنى وذاك بمعنى فبحق الرباط الطبيعي يجب علينا محبة الوالدين والاقرباء مع الشكر لهم والاحسان اليهم فاما الطاعة لهم والاخذ بقولهم واغراضهم فهذا بشرط ان لا تكون مخالفة لامر الله تعالى فان كانت محبتهم صداً عن محبة الله والطاعة لهم عصيان الله فالبغض لهم فرض

الباب الثالث عشر

الفطنة

Mt X هَا أَنَا مُرْسِلُكُمْ مِثْلَ خِرَافٍ بَيْنَ ذِئَابٍ فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَٱلْحَيَّاتِ وَوُدَعَاءَ كَٱلْحَمَامِ * أَنَا مُرْسِلُكُمْ يا ايها الحواريون والتلاميذ والرسل والخلفاء والمبشرون الى اهل هذا العالم لكي تنوروهم بضياء تعليمي وترشدوا الهاملين في طرقات اهوائهم وانتم مِثْلَ ٱلْخِرَافِ والنعاج

الساكتة الحليمة الصورة إن كنتم لا تريدون الا الخير وتبشرون بكلام الله والحق في وسط ذِئَابٍ وهم تابعو الشهوات والاميال المنحرفة الذين لا يبالون بحقوق الله ولا ببشارتكم وربما يضطهدونكم لكي تكفوا عن الانذار او يجذبونكم لتقتدوا بهم في العصيان فلذلك كُونُوا حُكَمَاءَ اي حاذقين كَٱلْحَيَّاتِ التي تفرّ بسرعة عند سمعها حس او نظرها صياد وتختفي في الحين بين الصخور او تحتها فتنجو هكذا من ذلك الخطر ولكنكم لا تماثلوا الحيات في مكرها وخدعها بل كونوا وُدَعَاءَ اي حلماء كَٱلْحَمَامِ وهي اودع الطيور والوحوش التي تُعرف بالصفوة والنية والسلامة وهذا يدلّ على ان تلميذ المسيح يجب عليه الحذر والفطنة بين اخطار الدنيا مع الحلم والحبّ وخلوص النية في معاشرة امثاله بدون مكر او خبث

* * *

إِحْذَرُوا مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ ٱلْكَذَبَةِ ٱلَّذِينَ Mt VII
يَأْتُونَكُمْ بِلِبَاسِ ٱلْحُمْلَانِ (الخراف) وَهُمْ فِي ٱلْبَاطِنِ ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ . فَمِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ * ان الله تعالى

لا يناجي عباده فرداً فرداً ليعلمهم الحقائق والفرائض بل اراد في حكمته ان يبعث الى البشر رجالاً منهم رسلاً نذراً يبلغون ما اوحي اليهم من ربّهم هم الانبياء والرسل عليهم السلام اما الانبياء الكذبة فليسوا بانبياء البتة بل هم رجال بدون رسالة من ربهم قد ادّعوا بالرسالة فتقدموا كانهم انبياء بالحق فخطبوا ونبهوا ووعظوا وهدّدوا وحكموا واشترعوا وجعلوا قوانين وفرائض منها ما تستوجب القبول ومنها الضعيفة والمنكرة . هذا وقد وقع في السلف ودليله في التاريخ، فهولاء الانبياء الكذبة انما ارادوا بذلك اموال الناس او الشهرة والتسلط وربما منهم مَن كان خالص النية لم يقصد غرضاً دنيوياً غير انه مغرورٌ قد سحرَ من اوهام نفسه وخُيل لهُ انه مرسل بالحق فجميعهم قاموا لارشاد غيرهم وهم غير راشدين فصاروا عميان يقودون عميان يَأْتُونَكُمْ بِلِبَاسِ ٱلْحُمْلَانِ اي بظواهر الخير والاحسان اذ انهم لو اتوا بوجههم الشرير لما قبلوهم . واذا سألت كيف نجاحهم وهم ليسوا بانبياء ولم يؤيدهم الله بايات بينات ؟ فالجواب انّ من الناس كثيرين جهلاء مغرورين لا يعرفون الحق من الباطل وان منهم كثيرين قد مالوا الى النبي الكاذب لغرض خصوصيّ. فشهدوا عليه وانضموا الى طريقته غير مبالين بما هو صواب او إطناب واما ذرية هؤلاء التابعين فنموا من بعدهم في

ذلك الظن وألفوا تلك الطريقة حتى لا يتصور لهم انهم في غير سبيل الحق. فنستعيذ بالله من الضلال، وَهُمْ فِي ٱلْبَاطِنِ اي في الحقيقة ذِئَابٌ خَاطِفَةٌ طاغية طمّاعة لا يقصدون الا افناء الخراف واكلها . فان قلت كيف البيان على الحق والباطل ؟ فالجواب انه مِنْ أَثْمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ اي من تعليمهم ومن اعمالهم . فالحق المنزل لا يناقض ما قد اخبرنا به الله ولا يخالف العقل السليم والحقائق العلمية الثابتة ولا ينفر الادب او شهادة الضمير بل لا بدّ ان يكون التعليم علياً طاهراً مؤدياً بالناس الى الخير . واما من جانب شخص المدعي بالنبوة ففيه ايضاً النظر . فان كان يسير سيرة غير حميدة وكان همّه في اشباع شهواته اكثر من همه بالنبوة فليس من قبل الله لان الله تعالى الملك العظيم لا يرسل الى خلقه الا خليفةً خليقاً بوظيفته العلية في الصدق والطهارة ولا يوليه تعالى صاحب ذنوب، واخيراً ان اصح الدلائل واعظمها لاثبات الرسالة الاعمال العجيبة التي تعجز عنها قوة الادمي وجميع الخلائق فهي تحقيق الرسول الصادق يعجزُ عنها الرسول الكذوب ولولاها لدام الشك والريب . وعليه أسند السيد المسيح دعوته بقوله لبني اسرائيل لما نكروه : فَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا بِكَلَامِي فَآمِنُوا بِأَعْمَالِي

* * *

L. XVI إِنْ لَمْ يَسْمَعُوا مِنْ مُوسَى وَٱلْأَنْبِيَاءِ فَإِنَّهُمْ وَلَا إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَهُ *

هذا جواب لمن شكّ في حقيقة الحياة الاخرى وادعى انه لن يؤمن حتى يرى انساناً توفي ثم رجع الى هذا العالم فصرّح المسيح له المجد ان الله قد مكننا حجةً متينةً للايمان لما تفضل بارسال الانبياء الصادقين فان كنّا ممن آمن بهم وبالكتب المنزلة الصحيحة لا نحتاج الى دليل غيره . وما عدا ذلك قال المسيح انه وان قام احدٌ من الاموات لا يصدقونه من قساوة قلبهم فيمكنهم نكران ذلك القيام ونسبه الى وهم وخيال

الباب الرابع عشر

الطهارة

Mt V قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْأَوَّلِينَ لَا تَزْنِ .

(اي لا تأخذ امرأة غيرك امرأة لك) أَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ
إِنَّ كُلَّ مَنْ نَظَرَ إِلَى ٱمْرَأَةٍ لِكَيْ يَشْتَهِيهَا فَقَدْ زَنَى
بِهَا فِي قَلْبِهِ * به اظهر درجة الصفوة التي تجب على المسيحي
وهي صفوة لا تقوم في الخارج بل في الباطن ولا في الغسل
بالماء ووضوء الاعضاء بل في النقاوة القلبية . وكم من
الناس يتظاهرون بالطهارة أمام غيرهم وفي الباطن ملآنون
خبثاً وفساداً والله الذي ينظر في غوامض القلوب يكره كل
فساد وكل نظر وفكر غير طاهر يُسأل عنه ويحاسب عليه
يوم الدين

اما الفسق فله درجات ولا يسقط فيه المرء على الغفلة بل
قليلاً قليلاً بحسب ما قاله السيد المسيح إِنَّ ٱلْأَمِينَ فِي
ٱلْقَلِيلِ يَكُونُ أَمِيناً فِي ٱلْكَثِيرِ وَٱلظَّالِمَ فِي ٱلْقَلِيلِ
يَكُونُ ظَالِماً فِي ٱلْكَثِيرِ ومن يحب الخطر يسقط فيه
فالفكر يُميل الى النظر والحديث والمعاشرة وهذا يجذب الشوق
والشوق يليه العمل السوء . ومن يجنح قلبه الى طريق الشر
ويهيم في مسالكه فمثله مثل عصفور يُسرع الى الفخ فلا
يدري انه نُصب له، فلا يحذره

* * *

Mt V فَإِنْ شَكَّكَتْكَ (اي كانت لك سبب سقوط
في الذنوب) عَيْنُكَ ٱلْيُمْنَى (العزيزة) فَٱقْلَعْهَا وَأَلْقِهَا
عَنْكَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلَا
يُلْقَى جَسَدُكَ كُلُّهُ فِي جَهَنَّمَ . وَإِنْ شَكَّكَتْكَ يَدُكَ
ٱلْيُمْنَى فَٱقْطَعْهَا وَأَلْقِهَا عَنْكَ فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَكَ أَنْ يَهْلِكَ
أَحَدُ أَعْضَائِكَ وَلَا يَذْهَبَ جَسَدُكَ كُلُّهُ إِلَى جَهَنَّمَ *
وقوله له المجد . عَيْنُكَ ٱلْيُمْنَى وَيَدُكَ ٱلْيُمْنَى رمزٌ الى
الاعزّ من الاشياء كما ان العين واليد اعز الاعضاء والعين
اليمنى اعزّ من اليسرى واليد اليمنى انفع من الاخرى فقال
انه ان تعرّض لنا شيءٌ في طريق الخير وصار لنا سبباً
للمعصية فعلينا ان نقلعه عنا ونلقيه بعيداً فأجدر لنا من ان
نحفظه لانهُ سيأتي يومٌ يوم الدين نخسر فيه اذا عصينا الله
ذلك الشيء ونخسر نفسنا معه الى الابد فبذلك طلب ممن
اراد خلاص نفسه طهارة كاملة خالصة لا تقبل تغيراً وان
كانت بالانفصال عما هو اقرب لنا واعز

* * *

Mt XVII هٰذَا ٱلْجِنْسُ لَا يَخْرُجُ إِلَّا بِٱلصَّلَاةِ وَٱلصَّوْمِ * روي في الانجيل انه اتى رجل بابن له يعذَّب كثيرًا كان يقع مرة في النار ومرة في الماء وقد قدَّمه لتلاميذ يسوع فلم يستطيعوا ان يشفوه فلما شفاه يسوع قال له تلاميذه لماذا لم نستطع نحن ان نخرجه فاجابهم بهذا القول هذا الجنس الخ * وهو الروح النجس اي الروح الدافع للفساد واللذات الجسدية وهو قائم في كل انسان واصعب الاميال في طرده ونزعه من القلب فلا يخرج الا بعون إلهي خصوصي يُطلب بالصلاة الحارّة وبالصوم اي الانقطاع عن الحرص في الاكل والشرب فمن اعتصم بالله وحرز نفسه غَلب ومن غفل عن التقى واطلق العنان لشهواته غُلب . فلاجل ذلك قد ترك كثيرون العالم وزهدوا في الدنيا وانقطعوا في الجبال والقفار او في الأديار طالبين النصر على شهواتهم الفاسدة بواسطة الصلاة المتواترة والصوم الدائم

الباب الخامس عشر

الغيرة

Mr IX قال له بعض التلاميذ يَا مُعَلِّمُ إِنَّا رَأَيْنَا وَاحِدًا لَا يَتْبَعُنَا (اي ليس من جماعتنا) يُخْرِجُ ٱلشَّيَاطِينَ بِٱسْمِكَ (كما كان الحواريون يفعلون فانهم قد اخذوا القدرة لخلاص المصابين باسم سيدنا عيسى) فَمَنَعْنَاهُ (وهذا من حركة الغيرة حيث انهم ارادوا ان لا يشاركهم احد في قدرة مثلها) فقال يسوع لَا تَمْنَعُوهُم لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَصْنَعُ قُوَّةً بِٱسْمِي وَيَقْدِرُ لِلْحَالِ أَنْ يَقُولَ عَلَيَّ سُوءًا (اي من فعل هذا الفعل كان روح الله معه وان كان روح الله معه لا يقدر في ذلك الحين ان يقول عليه سوءا لان قول السوء على سيدنا عيسى ليس من روح الله) لِأَنَّهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْكُمْ فَهُوَ مَعَكُمْ * ولا تهتموا ان لم يكن من جماعتكم فلا تكونوا له من الحاسدين بل افرحوا بكل مَن يصنع الخير

* *

L. IX فمضوا (السيد المسيح مع تلاميذه) ودخلوا قرية فلم يقبلوه (لم يرد اهل تلك المدينة ان يقبلوا سيدنا عيسى ولم يعترفوا بأنه هو المسيح وكانوا من الكافرين) فلما رآى ذلك تلميذاه (يعقوب ويحيي وهما من احب التلاميذ اليه) قالا له يارب أَتريد ان نطلب (من الله تعالى) ان تنزل نارٌ من السماء وتاكلهم (عقوبةً على كفرهم كما قد نزلت النار في زمن ايليا النبي على اصحاب ملك كافر) فالتفت يسوع وزجرهما (اي لامهما لوماً شديداً) قائلًا : لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا (اي لم تعرفا الروح والعواطف التي فيَّ وأنتما تتبعاني) فَإِنِّي لَمْ آتِ لِأُهْلِكَ نُفُوسَ ٱلنَّاس بَلْ لِأُخَلِّصَهُمْ (ولا اريد الانتقام من اعدائي واهلاكهم من اجلي بل أتيت لتخليصهم وتنويرهم وارشادهم)

الباب السادس عشر

التواضع

L. XIV إِنَّ كُلَّ مَنْ رَفَعَ نَفْسَهُ أُتَّضَعَ وَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ أُرْتَفَعَ * ان المسيح معلمٌ عليمٌ في التواضع اي انحطاط القلب ومخالفة الكبر . فبقوله مَنْ رَفَعَ نَفْسَهُ أُتَّضَعَ دلَّ على خذل المستكبرين لدى الله ولدى الناس فانه من عمل عملًا رياءً للناس قد فقد اجره عند الله واستحق الاستهزاء والاحتقار من امثاله . فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ أُرْتَفَعَ . لان الله يحب المتواضعين وكذلك الناس تلازم من لا يفضل نفسه على غيره حيث ان المتواضع لا يريد له شراً ولا يطلب التغلب عليه ليرفع نفسه كما يفعل المتكبرون . فالتواضع اصله الاقرار بأنَّ ما فينا من الخير والفضائل انما هو صادرٌ من نعمة الله وجوده، واما ما يوجد في الانسان من الشر والنقائص فهو من ضعفه وفساده

* * *

Mt XVIII إِحْذَرُوا أَنْ تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هٰؤُلَاءِ ٱلصِّغَارِ (أي الصبيان والذين ليس لهم العقل كالمجانين لانه ليس لهم ذنوب) فَإِنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَلَائِكَتَهُمْ (الملاك الحارس الذي يرافق كل انسان في هذا العالم ويرافقه من المهد الى اللحد) فِي ٱلسَّمٰوَاتِ كُلَّ حِينٍ يُعَايِنُونَ وَجْهَ ٱلْآبِ (اي الرب العزيز الذي هو ابونا جميعاً كما سبق تفسيره) ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمٰوَاتِ * الملائكة الصالحون بخلاف الملائكة الطالحين الذين هم الشياطين يرون وجه الله في السموات أي يتمتعون بالنظر في كمالاته وخيراته الغير المتناهية وهم في السموات اي في السعادة والحبور في كل حين ولو كانوا يحرسون بني البشر فلأجل ذلك أي لاجل تلك الارواح الشريفة الذين يصاحبون الصغار لا تحتقروهم

* * *

Mt XVIII دَعُوا (اسمحوا) ٱلصِّبْيَانَ وَلَا تَمْنَعُوهُمْ أَنْ يَأْتُوا إِلَيَّ لِأَنَّ لِمِثْلِ هٰؤُلَاءِ مَلَكُوتَ ٱلسَّمٰوَاتِ * كان تلاميذ سيدنا عيسى يزجرون الصغار ويبعدونهم عن

معلمهم لما كانوا يرونهم يزدحمون عليه او يتعرضون له في الطريق او يتبعونه وذلك لئلا يضجر منهم اما هو عليه السلام فدعاهم وقال لتلاميذه أن لا يمنعوهم عنه وصرّح بان المكافاة السموية والسعادة الدائمة بعد هذه الحياة لمثلهم في النية والصفوة

* * *

L XIV أَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ (ايها السامعون) إِنَّ مَنْ لَا يَقْبَلُ مَلَكُوتَ ٱللهِ مِثْلَ صَبِيٍّ لَا يَدْخُلُهُ * ان الصبي في بساطته يقبل جميع ما يقدم له ولا يردّه فهكذا ينبغي للانسان ان تقبل ملكوت الله اي يتبع دعوة الرب في قلبه ولا يقاومها كما قد يقع مراراً

* * *

Mt XVIII في تلك الساعة دنا (تقرب) تلاميذ يسوع وقالوا من الاعظم في ملكوت السموات فدعا يسوع صبياً واقامه في وسطهم واحتضنه وقال أَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ ٱلصِّبْيَانِ فَلَنْ تَدْخُلُوا

مَلَكُوتَ ٱلسَّمَوَاتِ فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هٰذَا ٱلصَّبِيِّ فَذَاكَ هُوَ ٱلْعَظِيمُ فِي مَلَكُوتِ ٱلسَّمَوَاتِ *

كما سبق القول فيجب ان نصير مثل الصبيان في النية والصفوة وبساطة القلب. فمن نزع من نفسه كل حيلة وتكبر وصار مثل صبي قد عظم أجره عند الله وكان عظيماً في السماء

***

L. XXII لِيَكُنِ ٱلْأَكْبَرُ فِيكُمْ كَٱلْأَصْغَرِ وَٱلَّذِي يَتَقَدَّمُ كَٱلَّذِي يَخْدُمُ . مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ كَبِيرًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِماً وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلاً فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا * هذا جواب المسيح لبعض الحواريين. كانوا يؤملون ان يصيروا من اكابر الارض يوم نصر المسيح فعلّمهم له المجد ان الكبر ليس في المنزلة والدرجة بل في الطاعة الكاملة والخدمة الخالصة لله في جميع أوامره فاثبت تعليمه بعمله ومثاله كما يظهر في الانجيل الشريف في قوله إِنِّي لَمْ آتِ لِأُخْدَمَ بَلْ لِأَخْدُمَ

***

L. XVIII وقال هذا المثل لقوم كانوا يثقون بأنفسهم انهم صديقون ويحتقرون غيرهم رَجُلَانِ صَعِدَا إِلَى ٱلْجَامِعِ لِيُصَلِّيَا أَحَدُهُمَا عَالِمٌ وَٱلْآخَرُ خَدِيمٌ فَكَانَ ٱلْعَالِمُ وَاقِفاً يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هٰكَذَا اللّٰهم إِنِّي أَشْكُرُكَ لِأَنِّي لَسْتُ كَسَائِرِ ٱلنَّاسِ ٱلْخَطَفَةِ ٱلظَّالِمِينَ ٱلْفَاسِقِينَ وَلَا مِثْلَ هٰذَا ٱلْخَدِيمِ فَإِنِّي أَصُومُ فِي ٱلْجُمُوعِ مَرَّتَيْنِ وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا هُوَ لِي . أَمَّا ٱلْخَدِيمُ فَوَقَفَ عَنْ بُعْدٍ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَرْفَعَ عَيْنَيْهِ إِلَى ٱلسَّمَاءِ بَلْ كَانَ يَقْرَعُ صَدْرَهُ قَائِلًا أَللّٰهُمَّ ٱرْحَمْنِي أَنَا ٱلْمُذْنِبَ . أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ هٰذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا دُونَ ٱلْآخَرِ لِأَنَّ مَنْ رَفَعَ نَفْسَهُ ٱتَّضَعَ وَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ ٱرْتَفَعَ *

***

L. XVII مَنْ مِنْكُمْ لَهُ عَبْدٌ يَحْرِثُ أَوْ يَرْعَى إِذَا رَجَعَ مِنَ ٱلْحَقْلِ يَقُولُ لَهُ : أُدْخُلْ سَرِيعاً

وَأَتَّكِئُ أَلَا يَقُولُ لَهُ أَعْدِدْ مَا أَتَعَشَّى وَتَمَنْطَقْ (تحزم) وَٱخْدِمْنِي حَتَّى آكُلَ وَأَشْرَبَ وَبَعْدَ ذٰلِكَ تَأْكُلُ أَنْتَ وَتَشْرَبُ فَهَلْ عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ ذٰلِكَ ٱلْعَبْدَ لِأَنَّهُ فَعَلَ مَا أُمِرَ بِهِ ؟ لَا أَظُنُّهُ وَكَذٰلِكَ أَنْتُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ جَمِيعَ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا إِنَّا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ إِنَّمَا فَعَلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا فِعْلُهُ *

الباب السابع عشر

الزواج والطلاق

L. XVI كُلُّ مَنْ طَلَّقَ ٱمْرَأَتَهُ وَتَزَوَّجَ أُخْرَى فَقَدْ زَنَى وَمَنْ تَزَوَّجَ ٱلَّتِي طَلَّقَهَا رَجُلُهَا فَقَدْ زَنَى *

* * *

Mr X وايضاً مَنْ طَلَّقَ ٱمْرَأَتَهُ وَتَزَوَّجَ أُخْرَى فَقَدْ

زَنَى عَلَيْهَا وَإِنْ طَلَّقَتِ ٱمْرَأَةٌ بَعْلَهَا (رجلها) وَتَزَوَّجَتْ آخَرَ فَقَدْ زَنَتْ * أعلن المسيح بهذا الكلام ان الزواج غير قابل الانحلال وان الطلاق الذي هو فسخ عهد الزواج ممنوع في شريعته وهذا حفظاً للاداب وضماناً لراحة العيال وتأييداً لعمران الشعوب فإن قال البعض هل من العدل ان يحتمل الرجل الخيانة والذلّ من امرأته ولا يطلقها ليمكنه ان يتزوج بأخرى وهل من العدل ان تعيش المرأة من مكر رجلها متزوجةً كغير متزوجةٍ لا ذنب لها سوى ان الشاب غرّها طامعاً بمالها فتعيش متبتلة حياتها ؟ فالجواب ان في مسائل الزواج يجب الفحص والتدقيق قبل الارتباط . فيا ترى هل يفسخ البيع الشرعي بعد عقده اذا لم يأت منه ما كان يؤمل من الارباح ؟ فالذنب ذنب الذين يقبلون على الزواج راغبين في المال او في الجمال غير مبالين بنصح العقل ولا بمشورة العقلاء وليست الشريعة هي التي ظلمتهم بل هم ظلموا انفسهم فليذوقوا ثمرة هواهم المرّة

واما الذي أعمل الفكر وحسن التدبير ومع ذلك لا ينجو من الغش والظلم فمصيبة عظيمة على رأسه ولكن مصيبة خصوصية ومعلوم انه ينبغي إزالة الضرر العمومي قبل الخصوصي وهذا يعمّ الشرائع المدنية والدينية فإذا سنت الحكومة شرائع او احكاماً لخير الشعب قد يتفق ان يلحق

الضرر بعض الافراد فيحتملونه صابرين . فلو اذن بالطلاق لعلة من العلل لكان الضرر عمومياً ومتى انفتح الباب اتسع الخرق وكثر الداخلون فيه فعمّ الضرر على الآداب والزواج معاً فلهذا سنّ المسيح بحكمته السامية أن عقد الزواج لا ينفك الا بالموت . فان وقع حدَث لا تمكن معه المساكنة ولا يسمح فيه الطلاق لا يجوز اذ ذاك الا المفارقة مع حفظ العفة حسب قول بولس وان فارقته فلتبقَ غير متزوجة او فلتصالح رجلها كما انه واجب على المتزوجين حفظ الامانة والطهارة إذا اتفق ان يفترق الرجل عن المرأة بسبب سفر او مرض معدٍ[1]

الباب الثامن عشر

قيامة الاجساد

Mt XXII فقال السيد المسيح لبعض اليهود كانوا ينكرون حقيقة قيامة الاجساد من القبور بعد هذه الحياة * أَمَّا مِنْ

(١) من مقالة الطلاق عند المسيحيين تأليف الاب انطون صالحاني اليسوعي بالمطبعة الكاثوليكية بيروت

جِهَةِ قِيَامَةِ ٱلْأَمْوَاتِ (من القبور) أَفَمَا قَرَأْتُمْ مَا قِيلَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ ٱللهِ ٱلْقَائِلِ (في كتب موسى وداود وغيرهم من الانبياء) أَنَا إِلٰهُ إِبْرٰهِيمَ وَإِلٰهُ إِسْحَقَ وَإِلٰهُ يَعْقُوبَ وَٱللهُ لَيْسَ إِلٰهَ أَمْوَاتٍ وَإِنَّمَا هُوَ إِلٰهُ أَحْيَاءٍ *

* * *

Mr. XII وأتى اليه بعض الذين يقولون بعدم القيامة (بعد الموت) وسألوه قائلين يا معلّم كتب لنا موسى انه ان مات لِأَحد اخ وترك امرأة ولم يخلف ولداً فليأخذ اخوه امرأته ليقيم نسلًا لاخيه وكان سبعة اخوة أخذ الاول امراة ومات ولم يخلف نسلًا فأخذها الثاني ومات ولم يخلف هو ايضاً نسلًا والثالث كذلك فأخذها السبعة ولم يخلفوا نسلًا وماتت المرأة ايضاً آخر الجميع ففي القيامة حين يقومون امرأة من تكون منهم لان السبعة اخذوها فأجاب يسوع وقال لهم : أَلَسْتُمْ لِهٰذَا تَضِلُّونَ لِأَنَّكُمْ لَمْ تَعْرِفُوا ٱلْكُتُبَ وَلَا قُوَّةَ ٱللهِ لِأَنَّهُمْ حِينَ يَقُومُونَ مِنْ بَيْنِ ٱلْأَمْوَاتِ لَا يُزَوِّجُونَ وَلَا يَتَزَوَّجُونَ وَلٰكِنْ يَكُونُونَ

كَالْمَلَائِكَةِ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ *

* * *

L. XX وفي موضع اخر : إِنَّ أَبْنَاءَ هٰذَا ٱلدَّهْرِ يُزَوِّجُونَ وَيَتَزَوَّجُونَ أَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقُّوا ٱلْفَوْزَ بِذٰلِكَ ٱلدَّهْرِ وَبِٱلْقِيَامَةِ مِنْ بَيْنِ ٱلْأَمْوَاتِ فَلَا يُزَوِّجُونَ وَلَا يَتَزَوَّجُونَ *

ان المسيح صرح في هذا القول بان الاجساد تقوم للحياة الدائمة لكنها بصفة جديدة روحانية حيث ان الانسان يكون يومئذٍ مثل الملائكة الذين هم عقول بلا جسد والمعلوم ان الملائكة ليس لهم جسد ولا يحتاجون الى أكل او شرب او نكاح بل يتمتعون في السعادة الدائمة برؤية الله والتسبيح ٠ فالاكل والشرب والراحة في هذه الدنيا لازمة لحفظ صحة الاجساد والا فتفنى والزواج مرسوم للتناسل اما في الاخرى حين يكون الجسد غير قابل للفساد والتلاشي لا حاجة الى الاكل والشرب وكذلك حيث انه لا تكون فيما بعد ذرية جديدة فلا حاجة الى الزواج ٠ اما اللذة التي يجدها الانسان في هذا العالم انما جعلها الخالق سبحانه عوناً وتسهيلاً لحفظ الصحة

والجنس وهي في ذاتها بهيمية تكاد لا تليق بالانسان فصار ان الذي انهمك في اللذات الجسدية وطلبها بحرص زائد شابه البهائم ومن اعتزل عنها بقدر امكانه وتشغل بالمسائل العقلية او الدينية قد تقرّب من طبيعة الملائكة وذاق لذة تفوق كل لذة جسدية ٠ فما قولك في من جعل غاية سعادته الى الابد في انواع تلك اللذة واشباع شهواته البهيمية ؟ فحقاً قال المسيح لليهود ولمن تبع قولهم انهم يضلون ضلالاً عظيماً ولا يعرفون قوة الله القادر ان يمنح لعباده سعادةً كاملةً وافرة دائمة من دون لذّات الجسد

الباب التاسع عشر

كمال الفضائل

Mt. XIX دنا الى يسوع رجل وقال له ماذا اعمل من الصلاح لارث الحياة الابدية فقال له إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَدْخُلَ ٱلْحَيَاةَ فَٱحْفَظِ ٱلْوَصَايَا (الوصايا العشر التي اعطاها الله على يد موسى) وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ

كَامِلًا فَٱذْهَبْ وَبِعْ كُلَّ شَيْءٍ لَكَ وَأَعْطِ ٱلْمَسَاكِينَ
فَيَكُونَ لَكَ كَنْزٌ فِي ٱلسَّمَاءِ وَتَعَالَ ٱتْبَعْنِي *

* * *

L. XII وايضاً بِيعُوا مَا هُوَ لَكُمْ وَتَصَدَّقُوا .
إِجْعَلُوا لَكُمْ أَكْيَاساً لَا تَبْلَى وَكَنْزاً فِي ٱلسَّمَاوَاتِ
لَا يَنْفَدُ حَيْثُ لَا يَقْرُبُهُ سَارِقٌ وَلَا يُفْسِدُهُ سُوسٌ
لِأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكُمْ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكُمْ *

* * *

L. XVIII أَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ مَا مِنْ أَحَدٍ تَرَكَ
بَيْتاً أَوْ وَالِدَيْنِ أَوْ إِخْوَةً أَوِ ٱمْرَأَةً أَوْ بَنِينَ لِأَجْلِ
مَلَكُوتِ ٱللهِ إِلَّا يَنَالُ فِي هٰذَا ٱلزَّمَنِ أَضْعَافاً
كَثِيرَةً وَفِي ٱلدَّهْرِ ٱلآتِي ٱلْحَيَاةَ ٱلْأَبَدِيَّةَ

* * *

Mt. XIX ودنا الى يسوع الفريسيون ليجربوه قائلين هل يحل للانسان ان يطلق زوجته لاجل كل علة، فاجابهم قائلًا : افما قرأتم ان الذي خلق الانسان في البدء ذكراً وانثى خلقهم وقال لذلك يترك الرجل اباه وامه ويلزم امرأته فيصيران كلاهما جسداً واحداً ... وما جمعه الله فلا يفرّقه انسان . فقالوا له لماذا اوصى موسى ان تُعطى كتابَ طلاق وتُخلّى ؟ فقال لهم ان موسى لاجل قساوة قلوبكم أذن لكم ان تطلقوا نساءكم ولم يكن من البدء هكذا . وانا اقول لكم من طلق امرأته الا لعلة زنى واخذ اخرى فقد زنى . ومن تزوج مطلقة فقد زنى . فقال له تلاميذه ان كانت هكذا حال الرجل مع امرأته فَأَجْدَرُ لَهُ أَلَّا يَتَزَوَّجَ . فقال لهم
مَا كُلُّ أَحَدٍ يَحْتَمِلُ هٰذَا ٱلْكَلَامَ إِلَّا ٱلَّذِينَ وُهِبَ
لَهُمْ . فَمَنِ ٱسْتَطَاعَ أَنْ يَحْتَمِلَ فَلْيَحْتَمِلْ *

ان كلام المسيح هذا في بيع كل شيء وتوزيعه بين المساكين وفي الامساك عن الزواج ليس بامر صريح او شريعة عمومية لجميع من اراد الفوز بالحياة الدائمة . ان حفظ الوصايا العشر لكافٍ للخلاص بقوله : ان كنت تريد ان تدخل الحياة فاحفظ الوصايا . والجنة لها درجاتٌ كثيرة فيدخلها المتزوج وغير المتزوج الغني والفقير صاحب الدين وصاحب التجارة ان لم يعصوا

الله في اوامره او تابوا بعد المعصية توبة نصوح

لكن هذا الكلام انما هو عظة ونصيحة لمن اراد الكمال في اعماله وأوفر رضوان مِن ربه فيقصد الاحسن والاكمل في جميع حركاته . هذه الطريقة طريقة مخصوصة اصعب من غيرها واحرج . غير انها آمن واقرب الى المقصود . ان صاحبها يتجرد عن الغنى والشرف واللذات العالمية لكي ينقطع للعبادة ويتفرغ للمعروف بالناس ولولا هذا التجرد لامتنع من ذلك . ومَن ادرك ان العالم لفانٍ وان الجزاء في الاخرة بحسب الاعمال لما اضاع فرصة لعمل الصالحات . ومن تذكر ان الله عز وجل خلقه جوداً واحساناً وهو المحبوب المعبود بحر الصلاح وعين كل خير لبذل وسعه في خدمته تعالى مقدماً اليه ضحية ما هو أعز عنده من الخيرات . وقد شهد تاريخ الديانة المسيحية على ان الوفاً من الذين تلقوا اقوال المسيح رجالاً ونساء فتياناً وفتيات في كل عصر وكل قُطر اخذوا الجدّ في ذلك السبيل سبيل الطاعة التامة للمرشدين والتجرد عن الاموال والعفة السامية الكاملة . اولئك الذين اشتروا الاخرة باغلى ثمن وربحت تجارتهم ونعم التجارة

الباب العشرون

في احتقار اباطيل الدنيا واعتبار الانسان نفسه بالاتضاع

فلو عرفتَ كلَّ الكتب المقدسة ظاهراً وجميع اقوال الفلاسفة فما الذي تستفيد منها بدون محبة الله ونعمته . باطلة الاباطيل وكلُّ الاشياء باطلة سوى محبة الله والعبادة الخالصة له . انَّ الحكمة العالية هي التوقان الى السماء باحتقار الدنيا

* * *

فإذاً باطلٌ هو طَلب الاموال الفانية والاتكال عليها . باطلةٌ هي الرغبة في المناصب العالية والارتقاء الى المراتب السامية . باطلٌ هو اتباع الشهوات البدنية وطلب ما سنعاقب عليهِ عقاباً أليماً . باطلٌ هو تمني حياة مديدة مع قلة الاجتهاد في ان تكون صالحة . باطلٌ هو الاهتمام بالامور

الحاضرة فقط وعدم الالتفات الى المستقبلة . باطلٌ
هو حُب الامور الفانية السريعة الزوال وعدم السعي
الى مقرّ المسرات الدائمة

* * *

اذكر هذا المثل ذكرًا مُتصلًا . العين لا تشبع
من النظر . والأذن لا تملأ بالسمع . فاجتهد إذًا
في انفصال قلبك من حُب الامور التي تُرى واجذبه
الى حبّ التي لا تُرى . لأنّ تابعي هوى انفسهم
ينجسون ضميرهم ويفقدون نعمة الله

* * *

كلّ انسان يرغب في العلم طبعاً . لكن ماذا
يُفيد العلم بدون مخافة الله . بالحقيقة انّ الفلاح
المتواضع العابد لله أفضل من الفيلسوف المتكبر
الراصد لدَوَران الافلاك وهو غافل عن نفسهِ .
من يعرف نفسه معرفةً حسنة استهان بها . ولا
يبتهج بمدائح الناس . لو عرفتُ العلوم بأسرها وانا

خالٍ من المحبة . فما الذي يُفيدني بين يدي الله
تعالى الذي يحاسبني على حَسب عملي

* * *

كفّ عن الرغبة الزائدة في تحصيل العلوم .
لانّ هناك تشويشاً عظيماً وخداعاً جسيماً . فإنّ
اصحاب العلوم يبتغون نظر الناس اليهم تائقين الى
ان يُدعوا حكماء . انّ كثيرًا من الاشياء لا
حاجة للنفس في ان تعرفها ولا منفعة لها بتحصيلها .
انه لفاقد العقل أحمق من يشتغل بسوى أمر خلاصهِ .
كثرة الكلام لا تشبع النفس . لكن العيشة الصالحة
تُريح القلب ونقاوة الضمير توعبهُ ثقةً بالله

* * *

بقدر ما يكثر علمك وتزداد به تشتد دينونتك
ان لم تعش عيشةً مقدّسة . فإذًا لا تتعظم بصناعة
من الصنائع ولا تفتخر بعلم من العلوم . لكن
الاجدر بك ان ترهب من المعرفة الموهوبة لك .
وان بان لك انك كثير المعرفة وقوي الفهم فاعلم

ان ما تعرفه ليس بشيء بمقابلة ما تجهله . لا تفتخر بعلمك بل الاولى أن تعترف بجهلك . كيف تطلب تفضيل نفسك على غيرك فيما انه يوجد اناس اكثر منك علماً واشد معرفةً ومهارةً في شريعة الله تعالى . ان قصدتَ علماً مُفيدًا وتعليماً حسناً فارغب في ان تكون مجهولاً محسوباً كلا شيء

* * *

ان الحكمة الكلية السمو والجزيلة الفائدة هي معرفة الانسان نفسه المعرفة الحقيقية واستخفافه بذاته . فظنّ الانسان بنفسه انه لا شيء وحُسن الظنّ بالغير لحكمةٌ عظيمة وكمال جزيل . اذا رأيتَ احدًا قد اخطأ خطأً ظاهرًا وارتكب اثماً عظيماً لا تتوهمنّ انك أصلح منه . لانك لا تعرف كم من الزمان تلبث على الصلاح . اننا جميعنا ضعفاء لكن افتكر انه لا يوجد احد اضعف منك

الباب الحادي والعشرون

في تأمل الشقاء البشري

حيثما كنتَ وأينما توجهتَ فإنك تكون شقياً إن لم تتجه الى الله سُبحانهُ . لماذا تضطرب إذا لم تجرِ الأمور بمقتضى ميلك ورَغبتك . مَن ذا الذي حصل لهُ كلُّ شيء وَفقاً لمرادهِ لا أنا ولا أنت ولا احد من الناس على الأرض . لا يوجد انسان في الدنيا بغير ضيق ولا مصيبة وإن كان سُلطاناً او بابا . فمن الذي حسُنت حالهُ لا شكّ هو الذي يستطيع أن يحتمل شيئاً لاجل الله تعالى

* * *

كثيرٌ من الأَغبياء والبائسين يقولون انظُر ما أَحسن عيشة فُلان وما أَوفر ماله واعظم شأنهُ وما اقدرهُ وما اسماهُ . لكن تفرَّس في الخيرات السماوية فتتحقَّق أن هذه الزمنيَّات بأَسرها ليست بشيء .

فإنها غير ثابتة ومُتعِبَة جداً . لانها لا تُملك البتة
بدون همٍّ ولا خوف . سَعادة الإنسان ليست
بتملّك الأمور الزمنية الوافرة لكن يكفيه
الاعتدال . فحقاً إنها لشقاوة عظيمة العيشة على
الارض . بقدر ما يتطلّب الإنسان أن يكون
روحانياً بقدر ذلك تُضحي لديهِ الحياة الحاضرة أشدّ
مرارة . لانه يشعر كلَّ الشعور بنقائص الفساد
البشري . لأنّ الأكل والشرب والسهر والنَّوم
والراحة والتَّعب والخضوع لسائر احتياجات الطبيعة
البشرية بالحقيقة إنّ ذلك كلهُ شقاءٌ عظيم وغمّ
للإنسان العابد الذي يُحبّ أن يكون معتقاً بريئاً
من كلّ خطيئة

* * *

الإنسان الروحانيّ تُثقِل عليهِ كثيراً في هذه
الدنيا الضروريّات الجسدية . فلذلك يتضرّع النبي
مبتهلاً أن يتخلّص منها قائلاً : انقذني يا ربّ من
ضروريّاتي . ولكن الويل لِمن لا يعرف شقاوة نفسه

وأشد الويل للذين يُحبّون هذه العيشة الشقية الفاسدة .
لانّ بعض الناس يعشقونها عُشقاً عجيباً حتى إنهم
لو استطاعوا ان يعيشوا هنا خالدين ما كانوا يبالون
بملكوت الله ولو كانوا لا يحصّلون ضروريات المعيشة
إلا بتعبهم او تسوّلهم

* * *

فما أخفّ عقول وأكفر قلوب اولئك الذين
هم متعمقون في الأرضيّات تعمّقاً شديداً حتى إنهم
لا يدرون شيئاً سوى الجسديّات. لكن وا أسفاه على
هؤلاء الاشقياء فإنهم في آخر الامر يتحققون مُفعمين
غمّاً كم هي زائلة ودنيّة الاشياء التي عشقوها .
فأمّا قديسو الله وخُلّانهُ فإنّهم لم يهتمّوا بما يُرضي
الجسد ولا بما حسُن في هذه الدنيا . لكن كان
كلّ أملهم وغرضهم في الارتياح الى الخيرات
الابدية . ورغبتهم مرتفعة الى الامور الباقية والغير
المنظورة . لكيلا يكونوا منجذبين الى السفليّات
بعشق المنظورات

***

أيها الاخ العزيز لا تفقد الرَّجاء في النموّ في الروحيَّات لانك لم تزل حاصلًا على الوقت والساعة . لماذا تُؤخر عَزْمك قُم وابتدئ في الحال وقل : الآن أوان العمل . الآن وقت الجهاد . الآن الزمان المقبول لاصلاح السيرة . فإذا كنتَ في سوء حال او وقعتَ في شدَّةٍ فحينئذٍ يكون زمان اكتساب الاستحقاق . ينبغي لك ان تجوز في النار والماء قبل أن تدخل في الراحة . فإن لم تقهر نفسك لا تغلب الرذيلة . فما دُمنا لابسين هذا الجسد الضعيف لا يُمكن أن نكون بدون خطيئة ولا ان نعيش بدون حُزن وضَجر . نحن نتمنى راحةً خالصةً من كلّ شقاوة لكن بما أننا قد فقدنا البرّ بسبب الخطيئة فقد فقدنا أيضاً السعادة الحقيقية . فلذلك يجب علينا الصبر وانتظار رحمة الله إلى أن يذهب هذا الإثم ويُبتلع الموت بالحياة

***

يا ما أشدَّ الضُّعف البشري المائل دائماً الى الرذائل . اليوم تعترف بخطاياك وغداً تعود ترتكب تلك التي اعترفت بها . الآن تنوي أن تجانبها وبعد ساعة تفعل كأنك لم تنوِ شيئاً . فإذاً بالصواب يُمكننا ايضاً ان نضع انفسنا ولا نُعظم ذواتنا البتة . إذ أنه هكذا قد اشتدَّ بنا الضيق والتَّلف . قد يُمكن ايضاً أن يُفقد سريعاً بالتهاون ما اكتسبناه بمشقة جزيلة بواسطة النِعمة

***

فماذا يكون منَّا في الانتهاء . نحن الذين نفتُر سريعاً في الابتداء . الويل لنا ان أردنا ان نميل الى الراحة على هذا النحو كأننا في أمان وسلام ولم يظهر الى الآن أثر القداسة الحقيقية في سيرتنا . فكان يجب علينا ان ندخل مرَّةً أخرى تحت التأديب والارشاد الى السيرة الحسنة كالمبتدئين إذ ربَّما وجد حينئذٍ أملٌ باصلاحنا المقبل وبزيادة نموّنا الروحي

الباب الثاني والعشرون

في ذكر الموت

إنك سترَحل سريعاً من هذه الدنيا . فلاجل ذلك انظُر الى حالك . لأَنَّ الانسان اليوم في الوجود وغداً لا يبين لهُ أثر . وإذا توارى عن الابصار يذهب سريعاً عن الخواطر . يا لِبلادة القلب البشري وقساوتهِ . فإنهُ يفتكر في الامور الحاضرة فقط ولا يسبق بالنَّظر الى المستقبلة . فسبيلك أن تحفظ نفسك في كل فعل وفكرٍ كأَنك سَتموت اليوم . فلو كُنتَ ذا ضمير صالح ما كنتَ تخاف من الموت . تجنُّب الخطايا أولى من الهرَب من الموت . فإذا كنتَ اليوم غير متهيّئٍ للموت فكيف تكون غداً مستعداً له . الغـد هو يومٌ مجهول فمن أين تعرف أن يكون الغدُ في يدك

* * *

ماذا تفيد العيشة الطويلة حيث لم نُصلح أنفسنا الاَّ قليلًا . آه إنَّ العيشة الطويلة لا تصلح سيرتنا دائماً ولكن في الغالب تَزيدنا إثماً . فيا ليتنا سِرنا في هـذه الدنيا سيرةً حسنة ولو يوماً واحـداً . كثيرون من الناس يعدُّون سني ارتدادهم الى الله . لكن في غالب الاوقـات تكون ثمرة اصلاحهم قليلةً . فان بان الموت رهيباً فربمـا طول الحياة يكون أشدَّ خطراً . طوبى لمن كانت ساعة موتهِ أمام عينيهِ على الدوام وهيَّأ نفسهُ كلَّ يوم للموت . ان نظرتَ أحياناً الى انسانٍ يموت فافتكر انـك انت ايضاً تمرُّ بهذا السبيل

* * *

اذا اصبح الصباح فاحتسب انك لا تصل الى المساء . واذا امسى المساء فلا تؤمّل عود الصباح . فكن إذاً مستعداً على الدوام ورتّب حياتك هكذا حتى إنَّ الموت لا يجدك أبداً غير مستعدٍّ . كثيرون من الناس يموتون بغتةً لانَّ الموت يأتي في ساعـة

لا يعرفونهـا . فإذا اقتربت تلك الساعة الاخـيرة تبتدئ حينئذٍ تُحسّ إحساساً مخالفاً جداً لما كُنتَ عليهِ بكامل عيشتك السابقة . وتندم ندامةً شديدة على تماديك في التهاوُن والفتور

* * *

ما أوفر سعادة وأعظم فطنةَ مَن يجتهد الآن ان يكون في حياتهِ على الحال التي يتمنى ان يكون عليها عند مماته . لانّ الاشياء التي تعطي الإنسان ثقةً عظيمةً ليموتَ موتاً سعيداً هي احتقارهُ الدنيا احتقاراً كاملا ورَغبتهُ المضطرمة في النموّ بالفضائل وحُبّ الادب والعناء في التوبة والنشاط في الطاعه والكُفر بالذات والصبر على كل مصيبةٍ حُباً بالله . ما دُمتَ سالماً تستطيع أنْ تفعل خيراتٍ كثيرة . وإذا مرضتَ فلا أعلم ما الذي تستطيع فعلهُ . قليلون من الناس يقومون من المرَض على أصلح سيرةٍ . وكذلك مَن يتغرَّب كثيراً يتقدَّس نادراً

* * *

لا تتّكل على الاصدقاء والأقارب ولا تؤخر خلاصك إلى المستقبل لأن نسيانك يتسارع الى الناس بما لا تظنُّ . فالآن ما دام لك وَقت مقبول فاسبق بالبصيرة في تدارُك امرك وأرسل قدّامك خيراً من الخيرات فهذا اولى بك من اتكالك على مساعَدة غيرك . فإن كنتَ لا تهتمّ الان بنفسك فمن يهتمُّ بك في المستقبل . فالآن الزمان ثمين جداً . هذه ايام الخلاص . هـذا الزمان المقبول . واسفاً لأنك لا تصرفهُ صرفاً نافعاً فيما انك تقـدر ان تربح فيه الحياة الابديـة . سَوف يأتي زَمان تطلب فيه يوماً واحداً او ساعةً واحـدةً لإصلاح ذاتك ولا أدري هل تنالها

* * *

ايها الحبيب ما اشدَّ الخطر الذي تقدر ان تُنقذ نفسك منه . ما اعظم الخوف الذي تخلص ذاتك منه إذا كنتَ الان متّقياً متحذّراً من الموت على

الدَّوام . فاجتهد الآن ان تعيش هكذا . حتى إنَّك تستطيع ان تفرَح ولا تفزَع عند مماتك . تعلَّم الان ان تموت عن العالم لكي تبتدئ حينئذٍ أن تحيا مع المسيح . تعلم الان الاحتقار لجميع الاشياء . كي تستطيع حينئذٍ ان تتوجه الى الله بلا عائق ومانع . عذّب الآن جسدَك بالتوبة حتى تستطيع حينئذٍ ان تحصل على ثقة راهنة

* * *

آه يا ايها الأَحمق لماذا تفتكر في ان تعيش مدّةً مديدة فيما انهُ ليس لك يوم اكيدٌ . كم من الناس قد خُدعوا مترجّين طول العمر وتخطّفهم الموت وهم لا ينتظرونه . كم من مرّة قد سمعتَ ان فلاناً قتل بالسيف وفلاناً غَرِق في الماء . وفلاناً وقع من شاهقٍ وانكسرت رقَبته . وفلاناً غصّ بالطعام ومات . وفلاناً انتهى عمرهُ لاعِباً . هذا قد هلك بالنار . ذاك بالسيف . فلان بالوباء . والاخر قُتل من قطّاع الطريق . وهكذا منتهى جميع

الناس هو الموت وحياتهم تزول بغتةً كالظلّ

* * *

فمن يَذْكُرك بعد مماتك او مَن يُصلّي لاجلك . فافعل الان يا صاحِ . افعل كلَّ ما تستطيع فعله . إنك لا تدري متى تموت ولا تعرف ماذا يحلّ بك بعد موتك . ما دام لك زمان اجمع لك أموالاً غيرَ فانية . لا تفتكرنَّ في شيء الا في خَلاصك واهتمَّ بالامور المختصة بالله فقط . اجعل لك الآن اصدقاء بتكريم أولياء الله وقدّيسيه . مقتفياً أعمالهم حتى اذا فنيتَ في هذه الحيَاة يقبلونك في المظالّ الابدية

* * *

صُن نفسك كالغريب والضيف على الأَرض الذي لا يهمُّهُ أمر من أُمور الدنيا . احفظ قلبك حرًّا مرتفعاً الى الله لانهُ ليس لك هُنا مدينةٌ ثابتة . وجّه صلواتك وزفراتك اليومية مع الدّموع إلى

العلاء . لكي تستحق روحك بعد الموت الوصول الى الربّ بالسعادة . آمين

الباب الثالث والعشرون

في الدينونة والعقوبات على الخطايا

في كلّ أمورك انظر الى الانتهاء وكيف تقف بين يدي الديّان الشديد الذي لا شيء خفيّ لديه ولا يقبل الرشوة ولا الاعتذار لكنه يحكم بمقتضى العدل . أيّها الخاطئ الشديد الغباوة والشقاء بماذا تُجاوِب الله العالم بكلّ شرورك وأنت ترتعد خائفاً من وجه الإنسان الغضوب . لماذا لا تتبصر متداركاً يوم الدين . يوم لا تستطيع نفسٌ اعتذاراً عن غيرها ولا استنصاراً لسواها بل يكفي كلّا وِزرهُ . الان تعبك مفيد وبكاؤك مقبول وتنهدك مجاب وندَمك وفائي مُطهِّر

* * *

الانسان الصابر له مَطهر عظيمٌ مفيد فإنّه إذا ظُلم حَزِنَ على شرّ الظالم اكثر من حزنهِ على نفسهِ المظلومة . ويرتضي بالتوصُّل لاجل مَن ضادهُ ويصفح من صميم قلبهِ عمن اساء اليهِ ولا يتأخر عن طلب العفو من غيره . هو الى الرفق بالناس اسهل منهُ الى الغضب عليهم . ويواظب على قهر نفسه مجتهداً اجتهاداً كلياً . فالخليق بنا أن نطهِّر الان انفسنا من الخطايا ونقطع عنّا الرذائل من ان نؤخر تطهيرها الى المستقبل . فحقاً اننا نخدَع انفسنا بمحبة غير مرتبة نحبُّ بها الجسد

* * *

فما الذي سوف تفترسهُ تلك النار سوى خطاياك . بقدر ما تريد الان في الشفقة على نفسك واتباع هَواك بقدر ذلك تُعذَّب فيما بعد أشدَّ عذاب وتذّخر لنفسك وقوداً اكثر لنار عذابك . فسيعذَّب الانسان اشدّ تعذيب بالاشياء التي قد خطئ بها .

هناك سينخز الكسالى بمناخز محماةٍ ويُعذَّب أهـل الشراهة بظماء قامحٍ وجوع أليم . هناك يُصب على الفاسقين المنهمكين في اللذّات البدنية زفتٌ متوقد وكبريت منتن ويُولول الحاسدون بسبب الوجع كالكلاب الكلبة

* * *

فما من رذيلة إلا ولها عذابٌ مختصٌ بهـا . هناك يمتلئ المتكبرون خزياً ويُضيّق عـلى البخلاء بفقرٍ كلّي الشقاء . هناك ساعة واحدة في العذاب أشدّ من مئة سنة هنـا في توبةٍ شديدة هناك لا راحة ولا تعزية للهالكين . أمّا هُنا فيستريح الانسان احياناً من التعب ويتمتع بتعزيات الاصحاب . فكن الان حريصاً على ذاتك متوجعاً عـلى خطاياك كي تكون في أمان يوم الدين مع المغبوطين . فحينئذٍ يقف الصديقون بثبات متين امام الذين قد ضيقوا عليهم وظلموهم واذلّوهم . حينئذٍ سيقوم بالحكم على غيره من اذلّ نفسهُ الان بالتواضع لأحكام

الناس . حينئذٍ يطمئنُ الفقير والمتواضع اطمئناناً تامّاً . اما المتكبر فيحيق بهِ الخوف من كل ناحية

* * *

حينئذٍ سيُظهر انهُ قد كان حكيماً في هـذه الدنيا من دعي جاهلاً حقيراً اكراماً لله . حينئذٍ كل شدّة محتملة بالصبر تضحي مقبولةً . وكلّ فعلة الاثم يسدّون افواههم . حينئذٍ يفرح كل ناسك عابد ويحزن كل منافقٍ . حينئذٍ يكون فرح الجسد المضطهد اكثر من فرحه لو كان متنعماً دائماً باللذّات . حينئذٍ يلمع اللباس الغليظ الحقير ويكمد الثوب الناعم الرفيع . حينئذٍ يمدح البيت الفقير على القصر المذهب . حينئذٍ الصبر الثابت يجدي نفعاً اكثر من قدرة الدنيا بأسرها . حينئذٍ ترفع الطاعة البسيطة على كل حيلة دنيوية

* * *

حينئذٍ يسرّك الضمير الصالح النقي اكثر من الفلسفة . حينئذٍ يرجح احتقار الاموال على كنوز

اهل الارض جميعاً . حينئذٍ تتعزّى عن الصلاة المتعبدة تعزيةً تفوق تعزيتك بتناولك المآكل الشهية حينئذٍ تُسرّ بحفظ السكوت اكثر من سرورك بأطول المنادمات وألذّ المسامرات . حينئذٍ تفضل الاعمال الصالحة على كثرة الاموال المزخرفة. حينئذٍ تكون مقبولة العيشة الضيقة والتوبة الشديدة اكثر من كلّ لذّةٍ أرضيّةٍ . تعلّمْ الان الصبر على القليل فتستطيع حينئذٍ النجاة ممّا هو شديد . جرّبْ الان هنا ما تقدر ان تحتمله هناك فيما بعد. فإن عجزتَ الان عن الصبر على اليسير فكيف تستطيع أن تحتمل العذاب المؤبد . فان كان الان ألمٌ يسيرٌ يجعلك غير صبور فماذا تفعل بك حينئذٍ نار جهنم . ها انت ترى انه غير ممكن حقيقةً ان يكون لك فرحان في ان تتلذّذ هنا في الدنيا وتملك مع الله في الآخرة

* * *

فبأيّ الفائدة تشعر إذا كنتَ عشتَ دائماً الى

هذا اليوم في الاكرام واللذّات لو فاجأك الموت في اسرع من طرفة عين . فإذًا كلُّ شيء باطل سوى محبة الله والعبادة الخالصة لهُ . لانَّ مَن يحبّ الله من صميم قلبهِ لا يخاف موتاً ولا عذاباً ولا دينونةً ولا نار جهنم . لانَّ المحبة الكاملة تُوصل صاحبها الى الله بثقة وامان . أمّا من يُسرّ بفعل الخطيئة فليس بعجبٍ اذا خاف من الموت والدينونة . لكن اذا كانت المحبة لم تردّك الى الان عن الشرّ فحسنٌ ان الخوف من نار جهنم يضبطك . فأمّا من ترك مخافة الله وراء ظهره فما تثبت قدَمه في الخير زماناً طويلاً لكن يقع في فخاخ الشيطان سريعاً

الباب الرابع والعشرون

﴿ في يوم الابدية وفي مشقات هذه الحياة ﴾

يا لسُموّ غبطة مَقرّ المدينة السماوية . يا لبهاء ضياء اليوم الابدي الذي لا يحجبهُ ليل . بل يُنيرهُ على الدَوام الحق الاعظم . يومٌ دائم الفرح والامان لا تتبدّل حالهُ بما ضادها . يا ليتَ ذلك اليوم كان اشرق علينا وانقضت جميع الزمنيات . فإنهُ يضيء للقديسين بالنور الابدي . امّا للمتغرّبين في الارض فيظهر من بُعدٍ كما في المرآة

* * *

قد عرَف اهل السماء كثرة فرح ذلك اليوم البهج . امّا اولاد حوّاء المنفيُّون فينوحون من مرارة هذه الحياة وضجرها . لان ايّام هذه الحياة قصيرة شرّيرة ممتلئة احزاناً ومشقّات . حيثما يتدنّس الانسان بكثرة الخطايا ويرتبك بشهواتٍ وآلام .

كثيرة . ويُوثق بمخاوف عديدة . ويتشاغل بهموم غزيرة ويتشتت بكثرة البحث والحرص المفرط . وينهمك بزيادة الاباطيل . ويُحاط بمواكب الضلال ويُضنى بكثرة الاتعاب . ويُثقّل بالتجارب ويُوهن باللذّات . ويُعذّب بالفقر والفاقة

* * *

ليتَ شعري متى تنتهي هذه الشرور . متى اخلص من العُبودية الشقية عبودية الرذائل . متى اذكُرك يا رب وحدك. متى افرَح بك فرَحاً كاملًا . متى أفوز بالحرية الحقيقية بغير عائق ولا مانع . وانجو من كل أثقال النفس والجسد . متى تكون السلامة الثابتة . السلامة بالأمن . السلامة التي لا تتشوّش السلامة التامّة باطناً وخارجاً المحكمة من كلّ جهة . يا الهي الصالح متى اكون في حالة انظرك فيها . متى أتأمل مجد ملكوتك . متى تكون لي كلًّا في الكلّ . متى اكون معك في ملكوتك الذي أعددته لمحبيك منذ الازل

الباب الخامس والعشرون

في منفعة المحن والشدائد

من النافع لنا ان تصيبنا الشدائد والمضادّات في بعض الاوقات لانها في الغالب ترجع بالانسان الى ذاته وتقوده الى مَعرِفة نفسهِ . بحيث يعلم أنَّهُ في المَنفى مبتعد عن الوطَن . ولا يليق بهِ ان يتكل على شيء من الاشياء الدنيويَّة . ومن النافع لنا ايضاً ان تضادّنا الناس احياناً ويعتقدوا فينا الشرّ والنقص ولو فعلنا حسناً وقصدنا خيراً . فهذه الامور غالبًا تعيننا على تحصيل التواضع وتعصمنا من المجد الباطل . لاننا نبادر الى طلب الله الفاحص القلوب احسن مُبادرةً متى احتَقَرنا الناس في الخارج وظنوا بنا سوءًا

* * *

فلذلك ينبغي للانسان ان يثبت نفسهُ في الله

عزَّ وجلّ لئلا يكون محتاجاً الى طَلب كثرة التعزيات البشرية . الانسان ذو الارادة الصالحة متى وقع في شدّة او بليَّة او اغتم بالافكار الخبيثة يُدرك حينئذٍ شدّة احتياجهِ الى معونة الله ويجد نفسه عاجزاً عن فعل الخير بدون تأييده تبارَك وتعالى . فحينئذٍ يحزن وينوح ويتضرَّع بسبب الشدائد التي يحتملها . وحينئذٍ يضجر من طُول الحياة ويرغب في قبول الموت لكي ينحلَّ من وُثُق الجسد ويكون مع مولاه . حينئذٍ يعلم يقيناً انهُ غير ممكن ان يدوم الامان التامّ والسلامة الدائمة في هذا العالم

الباب السادس والعشرون

في مقاومة التجارب

ليس من المستطاع للانسان ما دام حياً ان لا يكون عرضةً للبلايا والتجارب . فلهذا قد كُتب في سفر ايوب : عيشة الانسان هي تجربة على الارض . فلذلك ينبغي لكل احد ان يكون كثير الحذَر والاهتمام عند التجربة ساهرًا في الصلاة لكيلا يجد الشيطان محلًا للخديعة . لانه اخزاهُ الله لا يهجع ابدًا ولكن يجول كالأسد الزائر طالباً مَن يفترسهُ . لا يوجد احد حتى ولا من قد تسامى بالكمال والقداسة ولم تحصل له احياناً تجارب ومحن . وغير ممكن ان نكون سالمين منها بالتمام

* * *

فأمّا التجارب فتفيد الانسان في غالب الاوقات فائدةً كبيرةً وإن كانت محزنةً شديدةً . لانّ

الانسان بواسطتها يتضع ويتطهر ويرتشد منها . فجميع القديسين قد جازوا في كثرة الشدائد والتجارب واستفادوا منها كمالاً . امّا الذين لم يستطيعوا احتمال التجارب فقد صاروا من المرذولين وهلكوا . لا توَجد طريقة رهبانية مهما كانت مقدسة ولا موضع خلوة مهما كان خفياً الا فيهما تجارب وبلايا

* * *

ما دام الانسان حياً فهو تحت مواقعَ التجارب حتى انه لا يخلو منها . لانّ ما نُجرّب بهِ قائم فينا من حيث قد وُلدنا بالشهوة فكلما بارحتنا تجربةٌ او فارقتنا شدّة اتتنا اخرى . وفي كلِّ حين عندنا ما يجب علينا احتمالهُ . لاننا أضعنا خير السعادة الاولية . كثير من الناس يطلبون الفرار من التجارب . فيقعون فيها اشد وقوعاً . لا نستطيع ان نغلب بالفرار فقط لكن بالصبر والتواضع الحقيقي نتقوى على جميع اعدائنا

* * *

مَن حاد عن التجارب في الخارج فقط ولم يقلع اصلها فنماؤه في الفضيلة قليل لانّ التجربة لا تلبثُ ان تكُرّ عليه فتجعل حاله الثاني شرًا من الاول . إنك بمعونة الله عزّ اقتداره تغلب شيئاً فشيئاً بالصبر وطول الاناة ذلك أولى من ان تغلب بالعنف واللجاجة . كرّر طلب المشورة في وقت التجربة . ولا تكن صعباً شديداً مع من هو في حال التجارب ولكن عزّه مسلّياً كما كنت تتمنى التعزية لنفسك

* * *

راس جميع التجارب تقلب النفس وقلّة التوكل على الله سبحانه وتعالى لانه كما انّ المركب اذا كان بغير دفّة تدفعه الامواج الى كلّ جانب هكذا الرجل الضعيف المتراخي الغير الثابت على عزمهِ يُجرَّب بتجارب مختلفةٍ . النار تمتحن الحديد

والتجربة الرجل الصدّيق . في غالب الاوقات لا نعرف قوتنا لكن التجربة تكشف لنا ما نحن عليهِ . ومع هذا ينبغي السّهر ولاسيما في ابتداء التجربة لانه حينئذٍ يسهل جداً الانتصار على العدوّ اذا مُنع من الدخول الى باب النفس وطُرد حال تقدّمه للدّخول كما قال قائل : قاوم المبادئ . لان الدواء يقلّ نفعه اذا اشتدّ الداء لتأخير المداواة . لانه اولاً يخطر بالبال الفكر البسيط ثمّ التصوّر القوي ثمّ التلذّذ ثمّ الحركة الخبيثة ثمّ الرضى . فهكذا العدوّ الشرير يدخل متدرّجاً ويستولي على النفس اذا لم يُقاوَم في بادئ الامر . وبقدر ما تغافل الانسان وتأخر عن المقاومة . بقدر ذلك يزداد كلّ يومٍ ضعفاً في نفسهِ ويقوى عليه العدوّ .

* * *

بعض الناس يحتملون اشد التجارب في ابتداء رجوعهم الى الله والبعض في الانتهاء . وغيرهم

كأنهم يقاسون التجارب مـدّة حياتهم والبعض يجرّبون ببلايا خفيفة حسب حكمة الترتيب الالهي وعـدل الباري تعالى الذي يَزن احوال النـاس واستحقاقهم ويسبق ويرتب كلَّ شيء لخلاص مختاريه

* * *

فلذلك لا يليق بنا ان نيأس حين نجرَّب بل سبيلنا ان نتوسل الى الله باشد حرارة لكي يعضدنا بمعونته في كل شدائدنا . فانه تبارك وتعالى كما قال بولس الرسول . يجعل لنا ممَّا نُبتلى به مخرَجاً كي نستطيع الصبر والاحتمال . فلنضع اذاً نفوسنا تحت يد الله جلَّت قدرتـه ونعتصم بهِ في كل تجربة وشدّة . لانـهُ تعالى سيخلّص المتواضعين بالروح وسيرفعهم

* * *

فبالتجارب والشدائد يمتحن الانسان مقدار نموّه

في الفضائل . على ان الشدائد هي مصدر الاستحقاق العظيم ومظهر الفضيلة . فليس بامر عظيم ان يكون الانسان ذا عبـادة وحرارة حينما لا يُحس بثقـل البلايا . لكن اذا صبر صبراً جميلاً عنـد المصيبة حينئذٍ يكون له رجاء في زيادة النموّ بالفضيلة . فالبعض من الناس يصونون انفسهم عن التجارب الشديدة ويُغلبون مراراً عديدة بالاشياء الجزئيـة اليومية . وذلك لكي لا يتكلوا على انفسهم البتة في الامور العظيمة بعد اتضاعهم بما وقعوا فيـهِ من الضعف في الامور الصغيرة

الباب السابع والعشرون

في انه يجب ان نعتزل عن الخليقة لكي نستطيع ان نجد الخالق

يا رب اني لا ازال محتاجاً كثيرًا الى عِظم النعمة اذ ينبغي لي ان اصل الى حيث لا يستطيع احدٌ من الناس او من سائر الخلائق ان يمنعني . لانه طالما امسكني شيءٌ وأعاقني فلا استطيع ان اطير اليك بحرية . قد كان يبتغي الطيران ذلك القائل : مَن يُعطيني جناحين كالحمامة فأطير واستريح . ما الذي هو اكثر سُكوناً من العين البسيطة . وما الذي هو اوفر حرية مِمَّن لا يطلب شيئاً على الارض . فاذًا ينبغي للانسان ان يرتقي فوق كل خليقة ويترك ذاته تركاً كاملاً ويمكث على اختطاف العقل . ويتأمل فيك يا خالق الكل انهُ لا يوجد ما يماثلك بين الخلائق ومن لم

يتجرد عن جميع الخلائق لا يستطيع النظر بحرية الى الامور الالهية . لانه قلَّ المتأملون في الالهيات حيث قلّ من يعرف ان يجرّد ذاته تجريدًا كاملاً من المخلوقات

* * *

وتقتضي لهذا الامر نعمة عظيمة ترفع النفس وتخطفها فوق ذاتها . فان لم يرتفع الانسان بالروح وينجُ من كل المخلوقات ويتحد تماماً بالله فكلُّ ما يعلمه وكلُّ ما يملكه لا يرجح وزناً . ومن اعتبر شيئاً عظيماً عدا الخير الوحيد الازلي فانه لا يزال صغيرًا ملقىً في الاسفل . فكلُّ ما ليس هو الله ليس بشيء وينبغي ان يُعتبر كلا شيء . انه لفرق عظيم بين حكمة الرجل العابد المستنير وعلم الرجل الماهر الحريص على العلم . لان العلم الصادر من العلو من الفيض الالهي هو افضل من العلم المكتسب بالفطنة البشرية اكتساباً مُتعباً

الباب الثامن والعشرون

في احتمال زلات الناس ونقائصهم

الأَشياء التي لا يستطيع الانسان ان يُصلحها لا في نفسهِ ولا في غيره ينبغي له ان يحتملها بالصبر الى ان يرتّب الله تعالى على خلاف ما هو عليهِ . افتكر في أن هذا الحال ربما هو أفضل لامتحانك وصبرك الذي بدونه كل استحقاقاتنا ليست بشيء . لكن عليك بالتضرُّع الى الله ليؤهلك بمعونتهِ إمَّا لتنتصر على هذه الموانع او ان تحتملها بصبر جميل

* * *

فان لم يقبل احد النصيحة بعد ما نصحتهُ المرَّة والمرَّتين فلا تنازعهُ . لكن فوّض الامر كله الى الله تعالى لتتمّ مشيئته ومجدهُ في عبادهِ اجمعين .

فانه يعلم تعالى ان يغير الشر خيرًا . اجتهد ان تكون صابرًا على احتمال نقائص غيرك وزلاته كلها مهما كانت لانه فيك ايضاً اشياء كثيرة ينبغي لغيرك احتمالها . فاذا كنتَ عاجزًا ان تجعل نفسك على الحال التي تريدها . فكيف تستطيع ان تجعل غيرك على مرضاتك ومرغوبك . نبتغي ان يكون الناس كاملين ونحن لا نصلح نقائص انفسنا

* * *

نريد ان يؤدَّب غيرنا تأديباً شديدًا ونحن لا نحبّ ان نؤدَّب . نكره التوسُّع بالاجازة لغيرنا ونحن لا نريد ان يُنكر علينا ما نطلبهُ . نريد ان يُضيّق على الغير بالقوانين . ونحن لا نحتمل ان يُضيّق علينا في شيء بتَّةً . فمن هنا يظهر جلياً اننا في النادر نعتبر قريبنا نظير اعتبارنا انفسنا . فلو كان كل الناس كاملين ما الذي كان يصيبنا حينئذٍ من الغير حتى نصبر عليهِ اكراماً لله تعالى

* * *

فقد رتّب الله الامور على هذه الصورة لكي نتعلم حمل أوزار بعضنا . لانه ليس احد بغير نقص ولا احد بلا اثقال ولا احد كافياً نفسه ولا احد فائزًا من الحكمة بما به الغناء لادارة نفسه . لكن سبيلنا ان يحتمل بعضنا بعضاً ويُعزّي بعضنا بعضاً ونساعد ونُرشد وننصح بعضنا بعضاً . فعند المصيبة يتبين مقدار ما يملك كلُّ احدٍ من الفضائل . لانّ الحوادث والظروف لا تجعل الانسان ضعيفاً لكنها تبين ما هو عليهِ

الباب التاسع والعشرون

في سرور الضمير الصالح

مجد الانسان الصالح بشهادة الضمير الصالح . كن ذا ضمير صالح تحصل على سرور دائم . الضمير الصالح يقدر على احتمال اشياء كثيرة جداً ويفرح كثيرًا في حال الشدّة . اما الضمير الطالح فيخاف ويقلق على الدوام . فان كان قلبك لا يوبخك فإنك تستريح راحةً عذبة . لا تفرح الا متى عملت عملًا حسناً . المنافقون لا يملكون سرورًا حقيقياً البتة ولا يشعرون بالسلامة الباطنة . لانه قد قال الرب . لا سلامة للمنافقين . وان قالوا نحن في السلامة ولا تصيبنا مصائب ومن يتجاسر ان يضرنا . فلا تصدّقهم لان غضب الله يأتيهم بغتةً وتتلاشى افعالهم وتفنى افكارهم

* * *

الافتخار في الشدة ليس بصعبٍ على المحبّ .
وهذا الافتخار انمّا هو الافتخــار بصليب الربّ .
قصير هو المجد المعطى من البشر والمقبول منهم .
مجد الدنيا كثيرًا ما يصحبهُ الحزن . ومجد الصالحين
في ضمائرهم لا في أفواه الناس . سرور الابرار هو
من الله وفي الله وفرحهم في الحق . مَن ابتغى المجد
الحقيقيّ الابدي لا يبالي بالمجد الزمني . ومن يطلب
المجد الزمني او لا يحتقرهُ قلبيًّا فإنه يظهر قلّة محبته
للمجد السماوي ومن لم يُبالِ بالمديح والذم فإنهُ قد
حصل على هدوء قلب عظيم

* * *

ذو الضمير النقيّ سريع الرضى وسليم القلب .
إن مُدحتَ فإنك لا تزيد قداسةً وان ذممتَ فلا
تزيد هوانًا . فانتَ على ما انت عليه ولا تستطيع
ان تدّعي باكثر ممّا انت عليه امام الله الشاهد
بحالك . فان تفرّستَ بما انت عليه في الداخل فلا
تُبالي بما تقول الناس فيك . الانسان ينظر الى الوجه

والله ينظر الى القلب . الانسان يعتبر الافعـال امّا
الله فانهُ ينظر الى النوايا . علامة النفس المتواضعة
هي المداوَمة على حسن العمل والاستخفاف بالذات .
علامة الطهارة العظيمة والثقـة الباطنة هي رفض
قبول التسلية من الخليقة

* * *

مَن لا يطلب شهادةً لنفسه في الخارج فقـد
تبيّن انه قد سلّم ذاته لله تعالى تسليماً تاماً . لانـه
بحسبما قال بولس الرسول : ليس مَن مدَح نفسه
هو الصـالح لكن من مدحهُ الله . حـال الرجل
الروحـاني هو السلوك بين يـدي الله في الباطن
والانقطاع عن كل هوًى في الظاهر

الباب الثلاثون

﴿ في تأمل الانسان في نفسه ﴾

لا نقدر ان نثق كثيرًا بأنفسنا لانه كثيرًا ما فقدنا النعمة والفطنة . فالنور الذي فينا هو قليل وهذا نفقدهُ سريعاً بالاهمال . فكثيرًا لا ننتبه الى كثرة عمانا الباطن . وكثيرًا ما نفعل شرًّا ونعتذر عنه بعذر شرّ منه . نتحرّك احياناً من قبل الميل ونحتسب ذلك غيرةً . نلوم الغير على صغائرهِ ونتجاوز عن كبائرنا . ما نحتملهُ من الغير نُحسُّ به سريعاً ونستعظمهُ أمَّا ما يحتمله الغير منَّا فلا ننتبه اليه . مَن وزَن أفعال نفسهِ وَزناً حسناً قويًا لا يحكم على غيره حُكماً شديداً

* * *

الانسان الروحاني يُقدّم الاهتمام بذاتهِ على

الاهتمام بغيره . ومن يحسن الاهتمام بذاتهِ يسكُت بسهولة عن غيرهِ . انك لا تصير رجلًا روحياً وعابدًا اصلًا ما لم تسكت عن أمور غيرك وتقصر نظرك على نفسك . فإن كنتَ مهتماً بالله ونفسك اهتماماً تامًّا فقليلًا ما تتحرك من الامور المتأتية اليك من الخارج . فأين انت ان لم تكن حاضرًا لذاتك واذا طُفتَ جائلًا في كل مكان فما الذي استفدته ان كنتَ غافلًا عن نفسك . فإن شئتَ الحصول على السلامة والاتحاد الحقيقيّ فينبغي لك ان تضع كلَّ شيء وراء ظهرك وتنظر الى نفسك فقط

* * *

لا تحسبنَّ شيئاً عظيماً ولا عالياً ولا مرضياً ولا مقبولاً الا الله وحدهُ وما كان من الله . فكلّ سلوان متأتٍ من الخلائق احسبهُ باطلًا بالكلية . فالنفس التي تحب الله تحقر كلَّ شيء دون الله . فإنَّ الله وحده الازلي الغير المحصور المالئُ كلّ شيء هو وحده سَلوة للنفس ومسرّة القلب الحقيقية

الباب الحادي والثلاثون

في اختلاف حركات الطبيعة والنعمة

يا بُنيَّ تفرَّس باجتهاد في حركات الطبيعة والنعمة فإنهما تتحركان بحركات مختلفة دقيقة . وكاد ان لا تتميز الا بالجهد من الانسان الروحاني المستنير الباطن . إنَّ جميع الناس يبتغون الخير ويقصدون نوعاً من الخير في أقوالهم وافعالهم ولذا كثير منهم يُخدع بصورة الخير

* * *

ان الطبيعة محتالةٌ فتجتذب كثيرًا من الناس وتوقعهم في الشرَك وتخدعهم . وتقصد دائماً نفسها كغاية قصدها . أمَّا النعمة فتسلك ببساطة وتحيد عن الشرّ من كل وجه . لا تقصد الخدائع . بل تفعل كلَّ شيء محضاً لاجل الله . وتستريح فيهِ تعالى لانه غايتها الوحيدة

* * *

الطبيعة لا تقبل الاماتة الا كرهاً . ولا تحب ان تُقهر وتغلب ولا تخضع طوعاً . اما النعمة فإنها تعزم على الاماتة الذاتية وتقاوم الهوى وشهوة الجسد وتطلب ان تخضع وتغلب . ولا تريد التصرُّف بحسب إرادتها . بل تحب ان تكون مضبوطةً تحت التأديب . ولا تبتغي ان تتسلَّط على احد . بل ان تعيش دائماً تحت حُكم الله . وتقوم وتبقى على الدوام تحت أمره . ومستعدَّة لان تخضع لكلّ خليقة بشرية بتواضُع إكراماً لله تعالى

* * *

انَّ الطبيعة تتعب لاجل فائدتها الذاتية وتنظر في الربح الواصل اليها من غيرها . امَّا النعمة فلا تعتبر ما كان مفيدًا نافعاً لذاتها . بل ما كان مفيدًا لكثيرين

* * *

الطبيعة تقبل الكرامة برغبة ورضى . أمّا النعمة فانها تعطي كلّ كرامة ومجدٍ لله بصدق وأمانة

* * *

الطبيعة تحبّ البطالة والراحة الجسدانية . أما النعمة فلا تقدر ان تكون بطّالة . بل تعتنق الشغل بمسرّة ورضى

* * *

الطبيعة تطلب الاشياء الرفيعة الجميلة وتكره الحقيرة الغليظة . امّا النعمة فتتلذّذ بالامور البسيطة الدنية ولا تحتقر الخشنة ولا تكره لبس الثياب البالية

* * *

الطبيعة تنظر الى الزمنيّات وتفرح بالمكاسب الارضية . وتحزن من قبل الخسارة وتسخط بسبب شتيمة خفيفة . امّا النعمة فتعتبر الامور الابدية

ولا تقف عند الزمنيّات ولا تضطرب بفقدانها . ولا تغتاظ من الكلام الفظ لانها قد جعلت كنزها وفرحها في السماء حيث لا شيء يفنى

* * *

الطبيعة كثيرة الاطماع . تبتغي الاخذ اكثر من العطاء وتحب الاشياء الذاتية المختصة بذاتها . اما النعمة فسخيّة وعميمة العطاء تجتنب تخصيص شيء لذاتها وتقنع بالقليل وتحتسب سعادتها بالاعطاء لا بالاخذ

* * *

الطبيعة تميل الى المخلوقات والى جسدها والى الاباطيل والمفاوضات . اما النعمة فتجذب صاحبها الى الله والى الفضائل . وتزهد في المخلوقات . وتعتزل عن الدنيا . وتبغض شهوات الجسد . وتنقطع عن الجولان . وتستحي من الظهور بين الناس

* * *

الطبيعة ترغب في تحصيل سلوة خارجة لتتلذّذ بها حواسّها . اما النعمة فتطلب السلوَة بالله وحده والتمتع بالخير الاعظم فوق جميع الامور المنظورة

* * *

الطبيعة تفعل كلّ شيء لاجل الربح والراحة الذاتية . ولا تفعل شيئاً مجاناً . بل تؤمل ان تنال بدل الاحسان ما عادلهُ . او ما كان أفضل منه . او انها تؤمل مديحاً او اسعافاً . وتشتهي ان تكون افعالها ومواهبها معظمة . اما النعمة فلا تطلب شيئاً زمنياً . ولا تبتغي عِوَض اجرها ثواباً آخر الا الله وحدهُ . ولا ترغب في شيء من الزمنيات الضرورية الا بقدر ما تفيدها للوصول الى الخيرات الابدية

* * *

الطبيعة تفرح بكثرة الاصحاب والاقارب . وتفتخر بشرَف المكان والحسب وتتملق الاقوياء

وتداري الاغنياء وتتلطف مع نظرائها . اما النعمة فتحبّ الاعداء ايضاً . ولا تتشامخ على زُمرَة الاصدقاء ولا تعظّم شرَف المكان والحسب ما لم تجد في ذلك زيادة الفضيلة . فإنها تسعف الفقير اكثر من الغني . وتشفق على البريء اكثر مما تشفق على القوي . تفرح بمن كان صادقاً لا بمن كان خادعاً . وتنصح دائماً الصالحين على الاعتناء بالافعال الصالحة

* * *

الطبيعة تشتكي سريعاً بسبب ما نقص لها وما شقّ عليها . اما النعمة فتحتمل الفقر بثبات

* * *

الطبيعة تنسب كلّ شيء الى ذاتها وتجاهد وتكافح لاجل ذاتها . اما النعمة فتنسب كلّ شيء الى الله من حيث هو ينبوعه ومصدرهُ . ولا تنسب الى نفسها خيراً . ولا تتكبر متشامخة . ولا

تشاجر ولا تفضل رأيها على غيرها . بل في كل رأي وحُكم تخضع نفسها للحكمة الازليـة وللامتحان الالهيّ

***

الطبيعة تبتغي معرفة الاسرار واستماع الاخبار . وتطلب الظهور في الخارج وامتحـان كثرة الاشياء بالحواس . وترغب في ان تكون معروفة . وتحبّ فعل ما يصدر عنه مديح وتعجب . اما النعمة فلا تبالي باستماع الاخبار ولا بالاشياء الغريبـة . لان جميع هذه اخذت اصلها من الفساد القديم حيث لا يوجد شيء جديد ولا دائم عـلى الارض . فالنعمة اذًا تعلم ضبط الحواس والفرار من العجب الباطل والافتخـار وتعلم اخفاء الامور الحميدة والعجيبة تحت ستر التواضع . وتطلب في كل شيء وفي كل علم ومعرفة ثمرة الفائدة ومجـد الله وكرامته . ولا تحب اظهار ذاتها وما اختصّ بها . بل تبتغي ان

يتبارك الله في مواهبه فانه يهب كل شيء بخلوص المحبة

***

فهذه النعمة هي نور فائق الطبيعـة وموهبة خصوصية من الله . وختم خاص بالمختارين . وعربون الخـلاص الابدي . فانهـا ترفع الانسان من حب الارضيات الى حب السماويات . وتنقله من الحالة الجسمانية الى الروحانية . فاذًا بقدر مـا تغصب الطبيعة وتغلب بقدر ذلك يندفق عليهـا فيضان النعمة ويتجدد الانسان الباطن كل يوم بافتقادات جديدة ويتحول الى صورة الله تعالى

الباب الثاني والثلاثون

في كيف ينبغي للآيس ان يقرب نفسه بين يدي الله تعالى

اني اشكرك يا رب لانك لم تترك ذنوبي بغير عذاب . بل ادبتني ورضضتني بسياط مرّة بارسالك الاوجاع والآلام وانزالك بي المصائب والمشقات ظاهرًا وباطناً . لا شيء من جميع ما تحت السماء يسليني سواك يا ربي والهي يا طبيب الانفس السماوي الذي يضرب ويشفي ويحدر الى الجحيم ويصعد . تأديبك عليّ وقضيبك سيعلمني

* * *

أيها الاب الحبيب ها أنا في يديك واحني رأسي تحت قضيب تأديبك . اضرب ظهري وعنقي لكي أقوِم اعوجاجي بحسب استقامة إرادتك . اجعلني

تلميذاً تقياً متواضعاً حسب عادة فعلك لكي اسلك بمقتضى جميع اوامرك . انا استودعك ذاتي وكلّ ما املكهُ كي تؤدبني . لان التأديب في الدنيا اولى من التأديب في الآخرة . انت تعلم بجميع الاشياء خاصةً كانت او عامة . ولا شيء في ضمير الانسان مكتوم لديك وانت تعلم الاشياء المستقبلة قبل وقوعها ولا تحتاج ان يُعلمك او يُخبرك احد بما يجري على الارض . انت تعلم بما يفيدني للنموّ الروحي . وبقدر ما تنفع الشدة لجلاء صدإ الرذائل . افعل معي بحسب رضوانك المشتهى ولا تعرض عن حياتي الكثيرة الخطأ التي لا يعرفها احد احسن واوضح معرفةً منك وحدك .

* * *

هب لي يا رب ان اعلم بما يقتضي العلم به وأحب ما يجب ان يُحب . وامدح ما يسرك غاية المسرة وأُعظم ما لاح كريماً لديك . واحتقر ما

كان نجساً لديك . ولا تدعني احكم بحسبما يظهر للعيون الخارجة ولا اقضي بحسب سمع آذان الجهلاء. بل أميّز الامور المنظورة والروحية بحكم حقيـقي واطلب دائماً فوق كل شيء مشيئة رضوانك

* * *

كثيرًا ما تُخدع الحواس في حكمها . ويخدع ايضاً عاشقو الدنيا بحبهم للامور المنظورة فقط . فهل الانسان يزداد فضلًا إذا عُظّم من غيره . الخادع يخدع الخادع إذا عظمهُ . وصاحب الاباطيل يخون صاحب الاباطيل إذا رفعه . والأعمى يغش الاعمى اذا علّاه . والضعيف يخدع الضعيف اذا فضلـه وبالحقيقة فانه يزيده خزياً حين يمدحه باطلًا . إنّ كل انسان هو على المقدار الذي هو عليه لديك يا رب ولا يزيد عليه

الباب الثالث والثلاثون

في انه ينبغي لنا ان نظهر لله احتياجاتنا ونلتمس نعمتـه

ايها الرب المملوء لطفاً ومحبةً اني مُشتاق الان الى تنـاولك بحرارة العبـادة . فأنت عـالم بضعفي والضرورة الملمّـة بي وبكثرة الشرور والرذائـل المستولية عليّ . وكيف اني غالباً اكون مثقلًا مجرباً مضطرباً متدنساً . فأنا أقبل اليك لاجل المداواة ملتمساً منك التعزية والمعونة . اني اخاطب العليم بكل شيء والمطلع على جميع سرائري والقادر وحده ان يعزي نفسي تعزيةً كاملةً ويُعينها معونةً كافيةً . انت عالم بما احتاج اليه وبما يوافقني من الخيرات وكم انا فقير وخال من الفضائل

* * *

هـا اني قائم بين يديك فقيرًا عريانًا . طالباً

النعمة وملتمساً الرحمة . اِقت المتسوّل الجوعان واضرم بُرودتي بنار محبتك . نوّر عماي بضياء حضرتك . حوّل لذيّ جميع الارضيات الى مرارة وجميع الشدائد والمضادات الى الصبر . والسفليات والمخلوقات كافةً الى احتقار ونسيان . ارفع قلبي لديك الى السماء ولا تدعني هائماً حائرًا على الارض . كن لي عذباً حلواً لذيذاً بمفردك الآن والى الابد . لانك انت وحدك مأكلي ومشربي ومحبتي ومسرتي وعذوبتي وكل خيري

* * *

ليتك تضرمني بحضرتك وتحرقني بالكلية وتحولني اليك حتى اصير معك روحاً واحداً بنعمة الاتحاد الباطن وذوبان المحبة المتقدة . لا تدعني اذهب عنك جوعاناً جافاً . بل اصنع معي رحمةً كما عاملت قديسيك مراراً كثيرة بأنواع عجيبة . وما العجب ان عُدت بكليتي مضطرماً بك فانياً في ذاتي وانت النار المضطرمة على الدوام والغير الفانية اصلاً . وانت المحبة المطهرة القلوب والمنيرة العقول

الباب الرابع والثلاثون

في انه ينبغي للانسان ان لا يرجو سوى الله ولا يتكل الا عليه وحده

بك اعلّق كل رجائي واياك اتخذ ملجأ يا ربي والهي . والقي اليك كل شدتي وضيقتي . لان كل ما نظرته خارجاً عنك وجدته ضعيفاً لا ثبات له . فلا تفيدني كثرة الاصحاب . ولا يستطيع المساعدون الاقوياء ان ينصروني ولا المشيرون الحكماء ان يجيبوني بمشورة نافعة . ولا تستطيع كتب العلماء ان تسليني ولا شيء كريم ان ينجيني . ولا مكان خفيّ وذو انشراح ان يقيني ان لم تساعدني انت بذاتك وتنصرني وتقويني وتسلّيني وترشدني وتحفظني

* * *

كل ما يلوح مفيداً للحصول على السلامة

والسعادة ليس بشيء اذا كنت غائباً . وبالحقيقة لا يجديني سعادة البتة فانت اذًا يا رب غاية الخيرات باسرها وسمو الحياة ولجة الكمالات . والرجاء فيك دون كل شيء انما هو اقوى سلوة عبيدك . اليك ارفع عينيّ وعليك اتكل يا الهي يا ابا المراحم . بارك نفسي وقدسها ببركاتك السماوية . انظر اليّ بعظيم جودك وكثرة مراحمك واستجب صلاة عبدك الفقير المنفيّ بعيدًا في كورة ظلال الموت . اكنف نفس عبدك الحقير واحفظها بين كثرة المخاطر وغرور الحياة الفاسدة . واهدها بمرافقة نعمتك الى طريق السلامة الموصلة الى وطن الضياء والسعادة الابدية . آمين

الباب الخامس والثلاثون

في انه يجب ان نضع كل اهتمامنا بالله تعالى

يا رب ان اهتمامك بي يعلو كل اهتمام اهتمه لنفسي . ومن لم يلق جميع اهتمامه عليك فان ثباته على خطر عظيم . افعل بي يا رب ما تشاء ولتكن ارادتي متجهة اليك بثبات واستقامة . لان ما تفعله بي لا يكون الا حسناً . فان شئت ان امكث في الظلام فكن مباركاً . وان شئت ان امكث في النور فكن ايضاً مباركاً . فان اهلتني الى تعزيتك فكن مباركاً . وان شئت ان تبتليني بالشدائد فكن ايضاً مباركاً على الدوام

* * *

يا رب اني احتمل برضى كل ما شئت ان يلم بي . ففي نيتي ان اقبل من يدك الشر كما اقبل

الخير . والمرارة كما اقبل الحلاوة . والحزن كالمسرة . وان اشكرك على كل ما يحدث لي . احفظني من كل خطيئة فلا اخاف الموت ولا الجحيم . فمهما المّ بي من الشدائد لا يضر بي ان كنت لا تطرحني الى الابد ولا تمحو اسمي من سفر الحياة

الباب السادس والثلاثون

في انه يلزمنا ان نقدم لله تعالى انفسنا وكل ما لنا ونتوسل لاجل الجميع

يا رب ان كل ما في السماء وعلى الارض فهو لك . فاني ارغب في ان اقدم لك نفسي قرباناً طوعياً وابقى مختصاً بك على الدوام . يا رب اني ببساطة قلبي اقدم لك اليوم ذاتي عبداً دائم الرق . اقدم لك اياها ذبيحة التكريم والثناء للابد

* * *

يا رب اني اقدم لك جميع خطاياي وذنوبي التي ارتكبتها قدامك وقدام ملائكتك القديسين منذ اليوم الذي استطعت فيه ان ارتكب الخطيئة الى هذه الساعة . لكي توقدها وتحرقها جميعها بنار محبتك . وتمحو جميع ادناس خطاياي وتطهر ضميري من كل ذنب . وترد اليّ نعمتك التي خسرتها بارتكاب الخطيئة . واسألك ان تغفر لي جميعها غفراناً كاملاً وتقبلني برحمتك بقبلة السلام

* * *

فما الذي استطيع ان افعله من اجل خطاياي سوى ان اعترف بها بتواضع وانوح عليها باكياً واستغفر رحمتك على الدوام . فاسألك يا الهي ان تستجيبني بجزيل حلمك وتصفح عني الان حيث انا واقف بين يديك . فإني اكره جميع خطاياي كرهاً تاماً ولا اريد الرجوع اليها اصلاً . بل اني اندم عليها واتوجع من جرائها ما دمت حياً . واني مستعد ان اتوب وأفي عنها بحسب طاقتي .

فاغفر لي يا رب اغفر خطاياي لاجل اسمك القدوس . ها اني اسلم ذاتي لرحمتك واضعها بين يديك . عاملني بحسب جودك لا بحسب شرّي واثمي

* * *

اني اقدم لك ايضاً كل ما عندي من الخير . وان يكن ناقصاً وقليلًا جداً . لكي تصلحه وتقدسه ليكون مقبولاً لديك ومرضياً لك . وترفعه دائماً الى درجة افضل وتقودني دائماً الى آخرة صالحة مغبوطة وان كنت عبداً بطّالاً وكسلاناً

* * *

واني اقدم لك ايضاً رغبات عبيدك المتورعين الاتقياء . وضروريات والديّ واقاربي واخوتي واخواتي وسائر احبائي والمحسنين اليّ او الى الاخرين لاجل محبتك . واني اقدم لك ايضاً ضروريات كل من طلب مني الصلوات وسألني الدعاء وتقدمة القداديس عنه وعن اهله جميعاً . سواء كانوا في

قيد الحياة او انتقلوا من هذه الدنيا . لكي يشعروا في نفوسهم بورود معونة نعمتك واسعاف التعزية والوقاية من الاخطار والنجاة من الشدائد والعقوبات . حتى اذا تخلصوا من جميع الشرور والبلايا يؤدّون لك شكراً عظيماً بفرح وسرور

* * *

اني اقدم لك ايضاً صلوات وقرابين استغفارية خاصة عن الذين اساؤوا اليّ او احزنوني او احتقروني او الحقوا بي خسارة او اذيّة . واقدم لك ايضاً التقدمة والتضرع لاجل جميع الذين قد احزنتهم وكدّرتهم وثقّلت عليهم وشككّتهم بالاقوال او بالافعال بمعرفة او بغير معرفة . لكي تغفر لنا جميعنا خطايانا وذنوبنا المتبادلة . ارفع يا رب من قلوبنا كل وهمٍ وسخط وغضب وخصومة وكل ما يمكنه ان يثلم المحبة وينقص المودة . ارأف يا رب وارحم طالبي رحمتك . اعطِ النعمة

للمحتاجين واهّلنا لان نستحق التمتـع بنعمتك والوصول الى الحياة الابدية . آمين

الباب السابع والثلاثون

في ما يضادّ العلم الباطل الدنيوي

يا بني لا تحركك اقوال الناس المنمقة المزخرفة لان ملكوت الله ليس بالكلام بل بالفضيلة . اصغ الى اقوالي التي تضرم القلب وتنير العقول وتهيج الخشوع وتمنح تعزيات مختلفة . لا تتلُ ابدًا كلمة لكي تظهر انك كثير العلم والحكمة . اجتهد في اماتة الرذائل لان هذا ينفعك اكثر من معرفة مسائل كثيرة غامضة

***

بعد ان تكون قرأت اشياء كثيرة وعرفتها ينبغي ان ترجع دائماً الى المبدإ الواحد . انا الذي اعلّم الانسان العلم واعطي الصغار الفهم اكثر ممّا يستطيع على تعليمه بشر . من اكلمه انا يضحي حالاً حكيماً وينمو كثيرًا بالروح . الويل للذين يطلبون من الناس امورًا كثيرة دقيقة غير نافعة ولا يهتمون بسبيل عبادتي الا قليلًا . سيأتي الزمان الذي يظهر فيه معلم المعلمين ورب الملائكة ليسمع تعليم الجميع . اي ليفحص ضمير كل انسان . فحينئذٍ يفتش اورشليم بالسراج وتظهر خفايا الظلمة وتسكت دلائل الالسنة

***

انا ارفع عقل المتواضع ليدرك في لحظة واحدة اسرار الحق الازلي اكثر ممن تعلم في المدارس مدة عشر سنين . انا اعلم بغير صوت الكلام وبدون تشويش الآراء وبدون الازدهاء بالكرامة وبدون

المنازعة بالادلّة والبراهين . انا اعلم احتقار الارضيات والاستخفاف بالزمنيات . وطلب الابديات وذوق الازليات . والفرار من الكرامات . والصبر على الشكوك والاتكال عليّ تماماً . وعدم الرغبة في شيء دوني . واضطرام المحبة نحوي فوق كل شيء .

* * *

لانه قد وجد من تعلم الامور الالهية بمحبة شديدة وكان يتكلم بامور عجيبة . وقد استفاد من تركه كل شيء اكثر افادة مما حصلها من درس الامور الدقيقة . لكنني اكلم البعض بالامور العامّة والبعض بالخاصة . واظهر للبعض في رسوم وصور بعذوبة ولذة . واوحي الى البعض اسراراً غامضة بانوار وافرة . صوت الكتب صوت واحد . لكنه لا يعلم جميع الناس على التساوي . لاني في الباطن انا معلم الحق وفاحص القلب والمطّلع

على الافكار ومنجح الافعال . والمعطي لكل احد على قدر ما اراه مستحقاً

الباب الثامن والثلاثون

في اصلاح حياتنا كلها بحرارة

كن مستيقظاً مجتهداً في عبادة الله وافتكر كثيراً لأي شيء اقبلت ولماذا زهدت في الدنيا . اما ان ذلك لكي تحيا لله وتصير رجلاً صالحاً . فكن اذاً مضطرماً للنموّ في الصلاح . لانك عن قليل تنال المكافأة على اتعابك . فحينئذٍ لا يبقى خوف ولا حزن في حدودك . الآن تتعب تعباً قليلاً لكنك سوف تجد راحة عظيمة ومسرّة مؤبدة . ان دمت اميناً حاراً في العمل فلا شك ان الله تعالى يكون اميناً وسخياً في المكافأة .

ينبغي لك ان تتمسك بحسن الرجاء الثابت للوصول الى اكليل الغلبة . لكن لا يليق بك ان تكون في امان لكيلا تعود فاترًا ومتكبرًا

* * *

قد كان انسان مغتماً مضطرباً يقضي غالب اوقاته بين الخوف والرجاء . فبينما هو في وقت من الاوقات ساجد لله وهو في غاية الحزن والكرب تأمل في ذاته قائلًا : يا ليتني اعلم باني اكون مثابرًا على الخير الى المنتهى . وفي الحال سمع في داخله الجواب الالهيّ : فاذا اضحيت خبيرًا بهذا . فما مرادك ان تفعل . فافعل الآن ما تشتهي أن تكون قد فعلته حينئذٍ فتكون في حسن الامان

* * *

وفي الحال صار متعزياً متقوياً وسلّم نفسه للمشيئة الالهية وزال عنه الاضطراب . وترك البحث والتفتيش عمّا كان مزمعاً ان يعرض له . بل صمّم

واجتهد في طلب ارادة الله المرضية الكاملة لكي يبدأ بكل عمل صالح ويتممه

* * *

قد قال النبي : توكل على الرب واصنع الخير واسكن الارض وارتع بغناها . ان ما يبعد كثيرًا من الناس عن النمو في الصلاح وحرارة اصلاح النفس هو شيء واحد . اعني الخوف من الصعوبة او تعب الجهاد . فلهذا نرى الذين يجتهدون اجتهادًا قوياً بالانتصار على الامور التي ثقلت عليهم كثيرًا وضادّتهم جدًا يزيدون بنوع خاص في الفضائل على باقي الناس . لان الانسان يكتسب نموًا وافرًا ويستحق زيادة النعمة بما انه كثيرًا ما يغلب ذاته ويميتها بالروح

* * *

لكن جميع الناس ليسوا بمتساوين في ما يجب عليهم الظفر به واماتته . اما العابد التابع لله

بالاجتهاد وان كثرت عليه الآلام فانه يكون اشد طاقة على النمو الروحي من رجل ذي سيرة حسنة لكن اقل حرارة في الفضائل . شيئان يفيدان اصلاحاً عظيماً افادة خصوصية . احدهما اجتذاب نفسك رغماً عمّا تميل اليه الطبيعة الفاسدة . والاخر حرارة طلب الخير الذي يحتاج اليهِ اشد احتياج . فاجتهد ايضاً في الحذر من النقائص والامور التي تكرهها غالباً في غيرك والانتصار عليها

* * *

استفد في كل موضع في نموك في الصلاح . فاذا نظرت او سمعت نموذجات حسنة فاجتهد في اتباعها . واذا رأيت شيئاً يستحق اللوم فاحذر من ان تفعله . واذا وقعت في شركه وفعلته فعد عنه واندم عليه . فكما ان عينك تراقب غيرك كذلك غيرك يرصدك . ما اسرّ والذّ النظر الى الاخوان المضطرمي العبادة المتورعين اصحاب السيرة الحسنة

الكثيري الادب . وما احزن واصعب النظر الى السالكين بعدم الترتيب الذين لا يتصرفون في ما دُعوا اليه . وما اضرَّ التهاون في مقاصد الدعوة وميل الحسّ الى الامور الغير المأمور بها

* * *

اذكر العزم الذي عزمته . فانك تخجل اذا تأملت في حياة اولياء الله الابرار لانك لم تجتهد الى الان في مماثلتك لهم . وان كنت في طريق الله منذ مدة مديدة

* * *

الرجل المتعبد لله يحتمل كل شيء بالصبر ويقبل بالرضى والصواب كلما يؤمر به . الرجل المتغافل الفاتر يحصل له شدة على شدة . ومن كل جانب يصيبه الضيق والمشقة . لانه عادم التعزية الباطنة . وممنوع عن طلب السلوة الخارجة . ومن يطلب الامور التي فيها كثرة الرخاوة وقلة التعب يكون

في ضيق على الدوام . لانه امَّا انـه يكره شيئاً . او لا يرضى بغيره

* * *

يا ليتنا لا يكون لنا شغل الا تسبحة ربنـا والهنـا من كل قلبنا وفمنا . فيا ليتـك كنت لا تحتاج ابداً الى الاكل ولا الى الشرب ولا الى النوم . بل كنت قادراً ان تسبح الله على الدوام متشاغلاً بعمل الخير فقط . فحينئذٍ يكون حالك اسعد من حالك الان حيث انك تخدم الجسد في اي ضرورة كانت . فيا ليت هـذه لا تكون ضروريات بل اقواتاً روحية للنفس فقط نذوقها في النادر . وا أسفاً علينـا

* * *

فاذا وصل الانسان الى حد انه لا يطلب سلوةً من خليقـة فحينئذٍ يبتدئ ان يذوق التلذُّذ بالله ذوقاً كاملاً ويرضى ايضاً بكلّ مـا يحـدُث من

الأمور . حينئذٍ لا يفرَح بالامر الكبير ولا يحزَن بالصغير . لكنه يسلم ذاته الى الله ويثق به ثقـةً كاملةً لانه تعالى يكون عندهُ بمنزلة كل شيء في كل شيء . الذي عندهُ كل شيء لا يفنى ولا يموت بـل بهِ تعيش البرايا كلها وتخدُمهُ بأدنى اشارة على الدوام

* * *

اذكر دائماً غايتك وأن لا عودة لزمان قـد ضاع . فإنك بدون اهتمام واجتهاد لا تحصل الفضائل البتة . فإن اخذك فتورٌ دبَّ اليك سوء الحـال . ولكن أن سلمت نفسك الى الحرارة فستجد سلامة عظيمة . وتحسّ خفة التعب بسبب نعمة الله ومحبة الفضيلة . فالانسان المضطرم النشيط مستعد لكل شيء . ان مقاومة الرذائل والالام لأشد مشقة من التعب في الاعمال الجسدية . فمن لا يجانب النقائص الصغيرة يتدرج حتى يقع في الكبيرة . انك تسرّ

دائماً عنـد آخر النهار اذا صرفته في وجـه نافع مفيد . اسهر على ذاتك . ايقظ ذاتك . عِظ ذاتك . فكيفما تصرّف الناس فانت لا تغفل عن نفسك . انك بقدر ما تغصب ذاتك وتقهرها تنمو في الفضائل وحسن السيرة

الباب التاسع والثلاثون

في محبة الله فوق كل شيء

طوبى لمن يفهم مـا هي المحبة لله والاحتقـار للنفس اكراماً لله . ينبغي ان يترك الحبيب لاجل الحبيب لان الله يطلب ان يحب وحـده فوق كل شيء . محبـة الخليقة كاذبة وغير ثابتـة ومحبة الله امينة وثابتة . من يلتصق بالخليقة يسقط مع من

شأنه السقوط . ومن يعتنق الله يثبت الى الدهر . أحبب الله واتخذه لك حبيباً لانه لا يتركك ولو ولّت عنك النـاس كافّةً ولا يدعك تهلك في الانتهاء . لا بدّ لك من وقت تفارق فيـه جميع الناس شئت او ابيت

* * *

تمسّك بالله في حياتك وفي مماتك . سلّم نفسك الى امانته فانه وحده قادر عـلى معونتك عندما فاتك الناس كافة . فمن طبع حبيبك ان لا يقبل الاشتراك في المحبة بـل يريد ان ينفرد بالاستيلاء على قلبك والجلوس فيهِ كالملك في عرشه . فان عرفت ان تُخلِي قلبك من كل خليقة ارتضى الله بالسكنى معك . فكل شيء تودعه عنـد الناس دون الله تجده جميعاً ضائعاً . فلا تتكل ولا تستند الى قصبة تحرّكها الريح لان كل ذي جسد كالعشب اليابس وجميع مجده يسقط كزهر العشب . ان

نظرت الى ظاهر الانسان فقط فانك تنخدع سريعاً . ان طلبت سلوانـك وربحك في الغير تجـد غالباً خسراناً . وان طلبت نفسك تجد نفسك ايضاً لكن مع هلاكك . لأنّ الإنسان ان لم يطلب الله فإنه يكون أشد ضرراً لنفسهِ . من كل العالم ومن أعدائهِ كافةً

الباب الاربعون

في الشكر على النعمة

لماذا تطلب الراحة فيما إنك قد ولدتَ للتعب . كن متأهباً للصبر أكثر من تأهبك للتعزية . ولاحتمال المشقات اكثر من تأهبك لملاقاة النعم . مَن الذي مِن اهل العالم لا يرضى بقبول الفرح والتعزية الروحية ان استطاع ادراكها دائماً . فإن التسليات

الروحية تفوق سائر لذّات العالم وشهوات اللحم . لأنّ جميع اللذات الدنيوية إمّا باطلة وإما قبيحة . أمّا اللذّات الروحية فإنها من دون سائر اللذّات سارّة عفيفة صادرة عن الفضائل مُفاضة من الله على النفوس الطاهرة . لكن لا يستطيع احد أن يتمتع دائماً بتلك التسليات الالهية على هواهُ . لأنّ وقت التجربة لا يتأخر كثيراً

* * *

فحرية القلب الكاذبة وعظم الاتكال على الذات يضادّان مضادّةً قوية الافتقاد الآتي من العلاء . فالله تعالى يفعل خيراً اذا وهب نعمة التعزية لكن الانسان يفعل شراً اذا لم يردّ كلّ شيء لله بالشكر والحمد . ولذا لا يمكن أن تسري فينا مواهب النعمة . لاننا ناكرو الجميل لواهبها ولا نردّ كلّ شيء للينبوع الاصلي . لانّ من يشكر على النعمة يستحق نعمةً جديدةً . وجرت العادة

أنّ ما يُعطى للمتواضعين يُنزع عن المتكبرين

* * *

اني لا اريد التسلية التي تسلب مني الخشوع . ولا ابتغي التأمل الذي يقودني الى التكبر . اذ لا كل سام طاهر . ولا كل حلو صالح . ولا كل رغبة هي نقية . ولا كل محبوب هو مقبول عند الله . اني راضٍ بقبول النعمة التي تزيدني دائماً تواضعاً ومخافة وتزيدني استعداداً لترْك ذاتي . من تعلم بموهبة النعمة وتأدب بسياط سلبها لا يتجاسر ان ينسب لنفسه شيئاً من الصلاح . بل يعترف بكونه فقيراً عرياناً . اعطِ لله ما لله واخصص ذاتك بما هو لك . اعني به احمد الله على النعمة . اما الذنب فانسبه لذاتك فقط واعلم انك تستوجب عذاباً شديداً على ارتكابك المعاصي

* * *

ضع ذاتك دائماً في المحل الادنى فيعطى لك

الاعلى . لانه لا يقوم الاعلى بدون الادنى . فالقديسون الذين هم اعزّاء لدى الله فانهم اذلّاء عند انفسهم . وبقدر ما ازدادوا مجداً وجلالاً ازدادوا ذلاً وتواضعاً في انفسهم . انهم امتلأوا صدقاً ومجداً سماوياً فلا يرغبون في المجد الباطل . انهم تأسسوا في الله وثبتوا فيه تعالى فلا يستطيعون التكبر مطلقاً . والذين ينسبون لله كل ما حصّلوه من الخير لا يطلبون المجد بعضهم من بعض . لكنهم يبتغون المجد الذي من الله وحده . ويرغبون ان يسبحوا الله في ذاته في جميع قديسيه تسبيحاً يسمو على كل شيء . والى هذا يوجّهون قصدهم دائماً

* * *

فاذاً كن شاكراً على القليل تضحي اهلاً للفوز بالكثير . وليكن عندك الاقل بمنزلة الاعظم والموهبة الدنية بمنزلة الموهبة الخاصة . فاذا نظر الى

جلال الواهب فلا ترى موهبة صغيرة او حقيرة . لان ما يعطى من الله الاعظم ليس بصغير . وان كل ما يعطيه تعالى يجب ان يكون مقبولاً ولو كان عذاباً وجلداً . لان كل ما يسمح به تعالى ان يصيبنا انما يفعله دائماً لاجل خلاصنا . من رغب في حفظ نعمة الله فليكن شاكراً على النعمة المعطاة وصبوراً على النعمة المسلوبة . فليبتهل لتردّ اليه ويحذر ويتضع لئلا يفقدها بعد رجوعها

الباب الحادي والاربعون

في فساد الطبيعة وقوة النعمة الالهية

ايها الرب الاله الذي خلقني على صورته ومثاله اعطني تلك النعمة التي اظهرت لي عظمتها وضرورتها

للخلاص . حتى انتصر على طبيعتي الشريرة التي تجذبني الى الاثم والهلاك . لاني اشعر في جسدي بناموس الخطيئة فانه يناقض ناموس عقلي ويقودني اسيراً لاطيع الشهوات في امور كثيرة ولا استطيع مقاومة اهوائها ان لم تساعدني نعمتك المقدسة المفاضة في قلبي بالحرارة

* * *

ان الانسان يحتاج الى نعمة بل الى نعمة وافرة عظيمة لكي يغلب بها الطبيعة المائلة دائماً الى الشر منذ صبائها

* * *

ومن هذا القبيل يا الهي افرح بناموسك بحسب الانسان الباطن . واعلم ان وصيتك حسنة عادلة مقدسة ترشدني الى الفرار من كل شر واثم . لكني بالجسد اخدم ناموس الخطيئة . لاني اطيع هوى النفس اكثر من اطاعتي للصواب . ولهذا

اريد الخير لكني لا استطيع صنيعه . ومن ثم كثيراً ما انوي كثرة الاعمال الصالحة لكني افشل واملّ بسبب مقاومة خفيفة وذلك لعدم النعمة التي تعين ضعفي . ومن هذه الجهة يتفق اني اعرف طريق الكمال وارى جلياً كيف ينبغي ان اتصرف . لكنه لكوني مثقّلاً بثقل الفساد الذاتي لا ارتقي الى ما هو اكمل

* * *

يا ما اعظم احتياجي الى نعمتك يا رب لكي ابتدئ في الخير وانمو فيه واكمّله . لاني بدونها لا استطيع ان افعل شيئاً . امّا بك فاني اقدر على كل شيء بقوة نعمتك . يا ايتها النعمة السماوية حقاً انه بدونكِ لا استحقاق ذاتيّ ولا قيمة للمواهب الطبيعية . لا قيمة لديك يا رب للصنائع والاموال والجمال والقوة والفطنة والفصاحة بدون النعمة . لان مواهب الطبيعة يشترك فيها الصالحون والطالحون

اما النعمة او المحبة فهي موهبة مختصة بالمختارين . ومن ازدان بها استحق الحياة الابدية . فهذه النعمة تسامت علواً حتى انه بدونها لا اعتبار لموهبة النبوة ولا لفعل الآيات ولا لتأمل الساميات . بل لا ايمان ولا رجاء ولا سائر الفضائل تكون مقبولة لديك بدون المحبة والنعمة

* * *

النعمة هي معلمة الحق وقاعدة الادب ونور القلب وسلوة في التجربة . فانها تطرد الحزن وتزيل الخوف وتربّي العبادة وتلد الدموع . فهل انا بدونها سوى عود يابس وخشبة لا نفع لها . بل ينبغي طرحها . فاذاً لتسبقني وتتبعني نعمتك يا رب . وتجعلني مدمن الاجتهاد والاشتغال بالاعمال الصالحة . آمين

ادعية

ايها الرب الهي انت هو الحق الذي لا يغش ولا يُغش

اني مؤمن بوجودك وعدلك ورحمتك وانا مشتاق الى تمام معرفة ذاتك وصفاتك السامية

اني مؤمنٌ بما اوحيته من كلامك . ما بلغني منه وما لم يبلغني وكلامك حقٌّ وهو اعزّ نعمك الى البشر

اني مشتاق الى معرفة ما كاشفت بهِ الخلق من عجائب اسرارك

اني تائق الى علم بما أمرتنا بفعله فأتممه وما نهيتنا عنه فاجتنبه

اني تائق الى علم بما وعدتنا به رحمةً فارجوه وما اوعدتنا اياه عدلاً فأخفهُ

اللهمّ اني اتوسل اليك ان تزيدني ايماناً وتُزيل عني الظلمات والغامضات، فلا تسمح ايها الرب الحكيم ان اضل مع الضالين عن الطريق المستقيم لكن اهدِني مع المهتدين الى سبيل القويم . آمين

* * *

ايها الرب الهي ما لي غيرك، انظر اليَّ بعين رحمتك يا ذا كل رأفة، انا مترجٍّ منك كل ما احتاج اليه في هذه الدنيا وفي الاخرة لانك صالح ومحب البشر وقادر على كل شيء . والذين يتوكلون عليك تحيط بهم الرحمة

* * *

ايها الرب الهي يا بحر الصلاح الذي لا حدّ له . انت مستحق كل محبة وانا احبك بكل قلبي وبكل نفسي وبكل قوتي فوق كل شيء

* * *

يا ربِّ والهي انا نادم من كل قلبي على جميع خطاياي . لانني بالخطيئة خسرت نفسي والخيرات الابدية واستأهلت العذاب الجهنمي وبالاخص انا نادم لاني اغظتك واهنتك انت يا ربي والهي المستحق كل كرامة ومحبة . ولهذا السبب أبغض الخطيئة فوق كل شرّ واقصد ان اهرب من كل سبب خطيئة وان افي بقدر استطاعتي عن الخطايا التي فعلتها . آمين

***

لقد آمنت بك يا ربي فزدني ايماناً، وعليك اتكلت يا الهي فزدني اتكالاً، اني احبك يا ربي فزد حبي اضطرام، وها ان نفسي نادمة على آثامها فزدها ندامة

ارشدني يا رب بحكمتك . اضبطني بعدلك . عزّني برحمتك . استرني بقدرتك

اني اريد يا ربي مهما تريده وكما تريده . وما دمت تريده

اجعلني يا رب حارًّا في صلاتي، قنوعاً في مآكلي اميناً في وظيفتي ثابتاً في مقاصدي

صيّرني يا رب انيساً في معاشرتي . مؤدباً في تصرفي . عفيفاً في خطابي . مستقيماً في سيرتي

اجعلني يا رب ان انتصر على اللذة بالاماتة وعلى البخل بالصدقة وعلى الغضب بالوداعة

عرّفني يا رب ما احقر الارض وما اعظم السماء وما اقصر الزمان وما اطول الابدية

انعم علي يا رب ان استعد للموت واخاف من الدينونة وانجو من الجحيم وانال النعيم . آمين

فهرس

صفحة

مقدمة ٧

الباب الاول : في ان الدنيا كلا شيء وان الموت عاقبة الامور ٩

الباب الثاني : ملكوت السموات ١٢

الباب الثالث : الحساب والعقاب ١٦

الباب الرابع : الحزم والحذَر ٢١

الباب الخامس : مخافة الله والحب له ٢٤

الباب السادس : الايمان والعمل ٣١

الباب السابع : النية والرياء ٣٦

الباب الثامن : الصلاة ٤٣

الباب التاسع : محبة الغير ٤٩

الباب العاشر : الفقر والغنى ٦٣

الباب الحادي عشر : التوبة ٦٨

الباب الثاني عشر : مخالفة النفس ٧٧

الباب الثالث عشر : الفطنة ٧٩

صفحة

الباب الرابع عشر : الطهارة ٨٣

الباب الخامس عشر : الغيرة ٨٧

الباب السادس عشر : التواضع ٨٩

الباب السابع عشر : الزواج والطلاق ٩٤

الباب الثامن عشر : قيامة الاجساد ٩٦

الباب التاسع عشر : كمال الفضائل ٩٩

الباب العشرون : في احتقار اباطيل الدنيا واعتبار الانسان نفسه بالاتضاع ١٠٣

الباب الحادي والعشرون : في تأمل الشقاء البشري ١٠٧

الباب الثاني والعشرون : في ذكر الموت ١١٢

الباب الثالث والعشرون : في الدينونة والعقوبات على الخطايا ١١٨

الباب الرابع والعشرون : في يوم الابدية وفي مشقات هذه الحياة ١٢٤

الباب الخامس والعشرون : في منفعة المحن والشدائد ١٢٦

صفحة

الباب السادس والعشرون : في مقاومة التجارب ١٢٨
الباب السابع والعشرون : في انه يجب ان نعتزل عن الخليقة لكي نستطيع ان نجد الخالق ١٣٤
الباب الثامن والعشرون : في احتمال زلات الناس ونقائصهم ١٣٦
الباب التاسع والعشرون : في سرور الضمير الصالح ١٣٩
الباب الثلاثون : في تأمل الانسان في نفسه ١٤٢
الباب الحادي والثلاثون : في اختلاف حركات الطبيعة والنعمة ١٤٤
الباب الثاني والثلاثون : في كيف ينبغي للآيس ان يقرّب نفسه بين يدي الله تعالى ١٥٢
الباب الثالث والثلاثون : في انه ينبغي لنا ان نظهر لله احتياجاتنا ونلتمس نعمته ١٥٥
الباب الرابع والثلاثون : في انه ينبغي للانسان ان لا يرجو سوى الله ولا يتكل الا عليه وحده ١٥٧
الباب الخامس والثلاثون : في انه يجب ان نضع كل

صفحة

اهتمامنا بالله تعالى ١٥٩
الباب السادس والثلاثون : في انه يلزمنا ان نقدّم لله تعالى انفسنا وكل ما لنا ونتوسل لاجل الجميع ١٦٠
الباب السابع والثلاثون : في ما يضاد العلم الباطل الدنيوي ١٦٤
الباب الثامن والثلاثون : في اصلاح حياتنا كلها بحرارة ١٦٧
الباب التاسع والثلاثون : في محبة الله فوق كل شيء ١٧٤
الباب الاربعون : في الشكر على النعمة ١٧٦
الباب الحادي والاربعون : في فساد الطبيعة وقوة النعمة الالهية ١٨٠
ادعية ١٨٤

طبع بأذن الرؤساء